جامعة المنصورة

كليـة الآداب

—

الانتماء بين التحول والثبات في ديوان "ماذا أصابك يا وطن؟" لفاروق جويدة – قراءة موضوعاتية

إعـــداد

عـــبدالله محمد كامل عبدالغني

مدرس الأدب العربي الحديث

كلية الآداب – جامعة دمياط

مجـلة كلـية الآداب – جامعــة المنصـورة

العدد الخامس والسبعون – أغسطس ٢٠٢٤

الانتماء بين التحول والثبات في ديوان "ماذا أصابك يا وطن؟" لفاروق جويدة – قراءة موضوعاتية

عـبدالله محمد كامل عبدالغني
مدرس الأدب العربي الحديث
كلية الآداب – جامعة دمياط

ملخص البحث

يتناول هذا البحث مفهوم الانتماء وتذبذب تجلياته بين حالة الثبات والاستقرار وحالة التحول والتبدل، مُتتبعًا أسباب هذ التغير في ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟) لفاروق جويدة، الذي تميز بالحضور الوطني الكبير في مجمل أعماله، فكان من الغريب أن يحيد عن هذا المسار في الديوان المدروس، يتتبع البحث حسَّ الانتماء في ظل وعي الشاعر بهذا المفهوم وإدراكه التام لأبعاده، واستشعاره مدى خطورة تلاشي هذه القيمة من نفوس بني وطنه

يدرس البحث التحولات التي طرأت على الحس الانتمائي في الديوان وفق المنهج الموضوعاتي، من خلال رصد الثيمات المهيمنة في عموم النص وذلك من جانبين ، أولهما: ثيمة (الحيرة والحزن) وتجليها في العتبات النصية ودلالتها على التبدل الحاصل في الحسّ الانتمائي، ثانيهما: تتبع رؤية الشاعر حين يقدم الأسباب والتحولات الموضوعية التي نتج عنها فقدان هذه القيمة، وكان التدقيق في رؤية الشاعر من خلال ثلاث ثيمات مسيطرة، أولها ثيمة (المقارنة)، ثانيها ثيمة (اليأس)، ثالثها ثيمة (الفساد)، والتوقف أمام تضام هذه الثيمات لتنضح بدلالات متواترة معينة يريدها الشاعر، ويقصد إليها قصدًا.

الكلمات المفتاحية: *الانتماء، الثيمة، المنهج الموضوعاتي، ماذا أصابك يا وطن؟، فاروق جويدة*

Abstract:
This research tackles the concept of belonging and its varying degrees of either being fixed or stable and change. It is being traced through the Farouk Gweida's What happened to the nation? a poet who is celebrated for his works that are replete with nationalism presence. In his work What happened to the nation? he took a different course as he follows the sense of belonging based on his knowledge and awareness of its wide dimensions and his feeling of how dangerous this value is being diminished from the souls of the citizens.

The researcher adopts a thematic study on the changes that took place regarding the belonging issue in the Diwan. He tackles the dominant themes from two sides: the theme of sadness and its significance and relation to the sense of belonging and second the vision of the poet who discloses the reasons that led to the loss of the value. This vision has been investigated according to three main themes: comparison, despair, and corruption.
Keywords: Belonging, theme, Thematic study, What happed to the nation?, Farouk Gweida

مقدمـــــة

يعد الانتماء من المفاهيم معقدة التناول أو المقاربة، ويرجع ذلك إلى تعدد مكوناته وبخاصة عندما يجد المرء نفسه منفصمًا عن مجتمعه المحيط، أو يتفتح وعيه وإدراكه بشكل يرى معه الواقع محبطًا وسيئًا؛ وعلى غير ما يرجو. ووجه الاشكال في مفهوم الانتماء هو تعدد الأطر التي يتكون منها، سواءٌ أكان إطارًا ثقافيًا أم اجتماعيًا أم سياسيًا أم دينيًا، فمن هذه الأبعاد جميعها يتشكل الانتماء الذي يعد المحرك الأساس لأي إنسان في وطنه ومجتمعه. وتتداخل دوائر الانتماء السابق ذكرها محدثة إما أمانًا نفسيًا وتكاملاً بين المرء ومجتمعه، وإما تنافرًا وتضادًا ينتزع مه كل أحاسيس الأمن والراحة النفسية.

ولقد جبل الله الإنسان على الانتماء لوطنه، وبيئته التي شهدت مسقط رأسه وتفتُح وعيه وإدراكه، وصنع فيها ذكرياته، ومن ثم يجد المرء نفسه محكومًا بعدد من العلاقات الاجتماعية والمكانية، تبدأ بالأسرة والمجتمع، وتنتهي بالدين والوطن، ولا بد حينئذٍ أن تنسجم دوائر الانتماء هذه في نفسه حتى "لا

ينتج التناقض الذي يؤدي إلى الانشطار في الهوية الاجتماعية، كما يؤدي إلى الخلط في الأولويات الذي يكون أقل صوره الاضطراب".[١]

وتشترك كل مجموعة إنسانية في الشعور بقيمة الانتماء أو الانتساب الجماعي، انطلاقًا من الفردية بداية، ليتضخم عندئذٍ شعور الفرد "بالثقة في النفس، وأن الفرد غير وحيد ولا ضعيف في عالم المجهول، وأنه جزء من جماعته"[٢]، ويُعبر الأفراد المنضوون تحت راية واحدة؛ أو مكان واحد وثقافة متقاربة عن ولائهم وانتمائهم لمجتمعهم وثقافتهم، وبذلك يتحدد الانتماء بأنه "ظاهرة إنسانية فطرية بين مجموعة من الناس المتقاربين والمحددين زمنًا ومكانًا، بعلاقة تشعرهم بوحدتهم، وتمايزهم تمايزًا يمنحهم حقوقًا ويحتم عليهم واجبات، ويتعلق ذلك بالإرادة الإنسانية الباحثة عن الأفضل".[٣]

ويرتبط الشعر العربي منذ فجره في العصر الجاهلي حتى الآن بالمكان والموضوع، ولا نعدو الحقيقة حين نربط بين بين الشعر والمكان والانتماء له، ليصبح الارتباط المكاني هو الملهم الأساس للشعر في أغلب حالاته، إن حس الانتماء هو الذي يضطرم جذوة الأبداع، ويبين "الأواصر الراسخة المتجذرة بين الشاعر وبين المكان والبيئة التي يعيش فيها بخواطره وذكرياته، ودائرة هذا الارتباط والعلاقة بين الشاعر والمكان تتسع نتيجة رؤية الشاعر أو نشوب ما يهدد هذا المكان"[٤].

ويختلف حضور حسّ الانتماء في الشعر الحديث والمعاصر عن حضوره وتجليه في الشعر القديم، حيث نرى انتماء الشاعر القديم إلى الخصال المحمودة، أو الاعتزاز بالقبيلة على سبيل المثال، بينما اتسع هذا الحضور الانتمائي في العصر الحديث وتعمق، نتيجة لتطور الوعي الإنساني، وشمولية القضايا التي يعالجها الشاعر، ومحاولة المبدع المستمرة الربط بين الواقع والمجتمع وما يدور في ذهنه من رؤى وفكر، سواءٌ أكان ذلك قبولاً أم رفضًا.

مما سبق تتضح أهمية دراسة تجليات الانتماء لدى رموز الإبداع أو الرموز الدينية والفكرية، لما لهم من تأثير قوي في مجتمعاتهم، وتزداد هذه الأهمية في الوطن العربي حيث المعاناة من "أدواء التعصب والتمييز، والنمو المطرد لبعض الانتماءات الضيقة، وتعرض الإنسان العربي لصور عديدة من الاضطهاد والتمييز، أو أشكال القهر والتعسف، وبدأ كل هذا يهدد قيم التسامح والتعايش بين أبناء الوطن الواحد، بل الإقليم الواحد".[٥]

وليس الشاعر فاروق جويدة* ببعيد عن هذا المعترك أو الإحساس بالقيم الانتمائية، بل إن مفهوم الانتماء كان واضحًا بشكل قوي في معظم إبداعه، وحاضرًا بجلاء أكبر في كتاباته الفكرية، مما يعني أنه يحاول تتبع هذه القيمة في وجدان بني وطنه. فقد تناول جويدة مفهوم الانتماء بشكل مباشر لا لبس فيه في أكثر من مقال، وظهر ذلك في كتاباته اليومية في الصحف السيارة، فكان من الطبيعي أن تظهر هذه المعالجة، وذلك التناول للحسّ الانتمائي من قِبل الشاعر في تجربته الشعرية، ومعظم نتاجه الإبداعي.

لقد حاول جويدة تتبع ما طرأ على الانتماء في مصر من تغير، وصل إلى حدّ التلاشي، فقال في مقالٍ له: "إن هناك أمرضًا كثيرة طفحت على وجه المجتمع وسرعان ما اتسعت لتصل إلى درجة الصدام والنار والموت، ووقف عقلاء هذا الشعب يتساءلون: أين ما كان يسمى الانتماء عند المصريين؟ أين هذا الاسم الذي كان يتردد في أغانينا وفي أناشيد الصباح ونحن نقف في طابور المدرسة ... أين أشياء كثيرة كنا نشعر معها بهذا الانتماء ونحن نشاهد هذا النيل ... كيف تبخرت هذه المشاعر وقد كانت جزءًا عزيزًا من ذكرياتنا ... هناك كارثة لحقت بالعقل المصري أفقدته أجمل ما فيه وهو الوعي، ومع تهميش العقل اختفى إحساس رائع كان يسمى الانتماء"[٦]، ثمة تغيير في الإحساس بالانتماء يستشعره جويدة، ويرى ذلك مستشرٍ بين أفراد وطنه، ويدرك وعيه حجم الكارثة فيحاول أن يضع يده على أساس المشكلة.

لذلك تنبع أهمية هذه الدراسة من إدراك الشاعر لدوره في تماسك مجتمعه، وأنه "ملتزم اجتماعيًا لأن وظيفة الشعر هي أن يعمل على دفع المجتمع إلى الأمام ويبصر حقوقه"[٧]، وسعى جويدة جاهدًا من خلال إبداعه إلى إصلاح الخلل الذي يراه في مجتمعه، ووطنه الذي يحب، لذلك تضافرت كتاباته الإبداعية منها والفكرية موضحة أسباب المشكلات في بلاده، وتبصير الناس وزيادة وعيهم.

ويستمد البحث أهميته كذلك باتكائه على القراءة الموضوعاتية لهذا الديوان، حيث يحاول استخلاص اللب الجوهري أو البؤرة التي تشكل أساس ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟)، من خلال القيام بعمليتين هما: "الفهم الداخلي للنص المقروء بكشف بنيته المهيمنة الدالة معجميًا، وتركيبيًا ولسانيًا وشاعريًا، وتأويله خارجيًا اعتمادًا على مستويات معرفية وجمعية مساعدة، بإضاءة الفكرة المحورية وتفسيرها".[٨]

إن هذا البحث يحاول من خلال المقاربة الموضوعاتية استشراف التبدل والتغيير الذي حلّ بالحسّ الانتمائي لدى الشاعر في ديوانه (ماذا أصابك يا وطن؟) – بحسبان الشاعر صوتًا معبرًا عن نبض المجتمع في تلك المرحلة الزمنية التي سبقت ثورة يناير ٢٠١١م، وذلك من خلال تتبع الثيمات والأفكار المهيمنة على الشاعر في الديوان محل الدراسة، ومحاولة تتبع دلالة هذه الثيمات على تبدل أو استقرار الحسّ الانتمائي، لأن القراءة الموضوعاتية هي "التي تبحث في أغوار النص لاستكناه بؤرة الرسالة، مع التنقيب عن الجذور الدلالية المولدة لأفكار النص، قصد الوصول إلى الفكرة المهيمنة في النص".[٩]

وتكمن مفارقة هذه الدراسة في أن فاروق جويدة من أكثر الشعراء والمبدعين تغنيًا بالوطن، وتكثر في مفردات شعره وصوره المتشكلة الثيمات المعبرة عن مشاعر الانتماء والحثّ عليه، إذ لا نجد ديوانًا واحدًا من دواوينه يخلو من قصيدة – على الأقل– تتغنى بحب مصر والإشادة بها، أو تحمل ثيمة الحنين إلى الماضي والذكريات الجميلة، أو ثيمة الفخر والاعتزاز بمعالم وطنه بشكل متكرر في معظم أعماله.

لذلك؛ يكثُر تناول جويدة لقيمة الانتماء في دواوينه، قاصدًا وبشكل منهجي ترسيخ هذا المفهوم وتعميقه، فيكرر المعنى لتتجذر القيمة في نفوس الشباب على وجه الخصوص، بل كان اختيار القوات المسلحة لنشيدها الرسمي من تأليف جويدة، يقول:

رسمنا على القلبِ وجهَ الوطنْ نخيـلاً ونيلاً وشعبـًا أصيـلا
وصُناك يا مصرُ طـولَ الزمنْ ليبقى شبابـُك جيـلاً فجيـلا
على كـلِ أرضٍ تركنا عـلامةْ قِلاعًا من النورِ تحمي الكرامةْ

يقف البحث – إذاً – أمام هذه المفارقة التي تتضح في ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟)، حين نرى التذبذب الواضح في الحسّ الانتمائي وسيطرة ثيمات معينة تعبر عن هذا التبدل، هذه المفارقة التي تكبُر حين نرى بشكل تقارني معظم إبداع الشاعر، والذي يتفجر منه شعور الانتماء والولاء بشكل قوي.

وتتبلور أسئلة هذا البحث في ظل المفارقة السابقة فيما يلي: إلى أي مدى حدث تحول في مفهوم الانتماء عند الشاعر في ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟)؟ وهل ظل الشاعر على حسّه الانتمائي (القوي) لوطنه وبلاده، أم تبدلت النظرة وتلاشى الانتماء؟ وهل سيطرت ثيمات معينة على مفردات الشاعر وصوره الشعرية في ظل التغيير الذي عصف بقيمة الانتماء؟ هل وُفق الشاعر في تصوير نبض المجتمع بوصفه يتحرك وفق التزام اجتماعي، يجعله أمينًا ودقيقًا في عكس ما يحدث في وطنه في تلك المرحلة؟ وما هي رؤية الشاعر لأسباب هذا التغير الطارئ في قيمة الانتماء؟ وأخيرًا يقف البحث أمام الأفكار المهيمنة التي تعبر بدقة عن درجة الانتماء لدى الشاعر وأبناء الوطن.

وبشكل عام؛ فإن الدراسات السابقة عن فاروق جويدة وشعره كثيرة ومتنوعة، ما بين رسائل جامعية ودراسات ومقالات، وتناولت هذه الدراسات اتجاهات كثيرة خاصة بتجربة جويدة الشعرية، مثل: (الوطن – الحب – البناء الشعري – الاغتراب – الصياغة الأسلوبية – الاتجاه القومي ... إلخ)، وهذا سردٌ لبعض الدراسات السابقة التي طالعها الباحث ورجع إليها، يليها تعقيب عن الفرق بين هذه الدراسات السابقة وهذه الدراسة ونقطة البحث فيها:

- **الاتجاه القومي في شعر فاروق جويدة – دراسة موضوعية وفنية:** شوادفي أحمد السيد علام، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، ٢٠٠٩م.
- **تجليات الهوية قراءة في شعر فاروق جويدة:** حمد بن سعود البليهد، مجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة، ٥٢ع، يناير ٢٠١٣م، ص ص ١١٥ – ١٤٥.
- **مستويات البناء الشعري عند فاروق جويدة – دراسة في بلاغة النص:** هالة كمال جمعة، حوليات كلية الآداب – جامعة عين شمس، مج ٤٣، سبتمبر ٢٠١٥م، ص ص ٢٨٩ – ٣٠٦.
- **الاغتراب في شعر فاروق جويدة دراسة في الرؤيا والتشكيل:** محمود الشهاوي إسماعيل، رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، ٢٠١٦م.

- **تجليات النستولوجية وظواهرها في شعر فاروق جويدة:** علي خضر – منيرة حمدي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج ١٣- ٢٢ع، جامعة المسيلة – الجزائر، ٢٠٢٠م، ص ص ١٣٧ – ١٥٣.
- **ملامح الرفض في شعر فاروق جويدة:** بلقيس إبراهيم زاده، مجلة كلية الآداب – جامعة الكوفة، مج ١ – ٤٣ع، ٢٠٢٠م، ص ص ١١٤ – ١٣٨.
- **الصوغ الأسلوبي للبناء الشعري ديوان "ماذا أصابك يا وطن؟" لفاروق جويدة أنموذجًا:** نصيرة كروشي، مجلة أسلوبيات، كلية الآداب والفنون – جامعة الشلف، مج ٢ – ٢ع، الجزائر ٢٠٢١م، ص ص ١٥٢ – ١٦٩.
- **الحب والوطن في شعر فاروق جويدة:** إبراهيم خليل إبراهيم، كتاب منشور إلكترونيًا عام ٢٠٠٦م.

يتبين من الاطلاع على الدراسات السابقة أمران، أولهما: أن دراسة واحدة فقط هي التي تناولت ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟) بالدراسة المُخصصة، وكان اتجاه هذه الدراسة لغويًا يتركز على تتبع البناء الأسلوبي والتشكيل الإيقاعي في هذا الديوان، الأمر الذي يجعل هذا البحث مختلفا في نقطة البحث والمفهوم المدروس، وكذلك انطلاق بحثنا من أساس موضوعاتي، ليدرس من خلال الثيمات المهيمنة مفهوم الانتماء وما حدث فيه من تبدل أو تحولات؛ بعد حالة ثبات واستقرار سابقة تبدت في أعمال الشاعر وتجربته الشعرية.

الأمر الآخر: لم تتناول دراسة سابقة مفهوم الانتماء أو بحث حالة التذبذب التي اعترت الشاعر، أو ما يمكن أن نسميه (التلاشي النسبي) للحسّ الانتمائي الملحوظ في الديوان، حتى تلك الدراسات التي ارتكزت على معالجة فكرة الوطن في إبداع الشاعر كان انطلاقها من فكرة حبّ الوطن وإبراز مظاهر ذلك، وتحليل المفردات والصور التي انتظمت مكونات الوطن والإشادة بها، لذلك يحاول هذا البحث إضافة الجديد حين يقارب قيمة الانتماء عند الشاعر، ورصد الثيمات المهيمنة التي تعبر عن الحسّ الانتمائي في فترة معينة من عمر الوطن، ونقصد بها الفترة التي شهدت خروج الديوان إلى النور قبيل اندلاع ثورة يناير ٢٠١١م.

حول مفهوم الانتماء

يهمنا في مفهوم الانتماء إبراز الرابطة التي تصل بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه، حيث "الانتماء الوجودي الاجتماعي، وبروز علاقة هوية ومصير بين الفرد البشري وجماعة محددة، وما تتصل به من أرض أو حضارة أو غير ذلك"[١٠]، والانتماء بحسب هذه النظرة يعني الارتباط بالوجود الاجتماعي المحيط، أو تعبير عن ماهية العلاقة بين الفرد والقيم والأعراف والتقاليد التي تؤلف بين أفراد مجتمع معين، أو هو مجموع الروابط التي تصل عناصر الكتلة الاجتماعية والثقافية الواحدة في مكان محدد.

وتحيط قيمة الانتماء بالوجود كله، عبر تحقيق ذات الإنسان وهويته وإثبات وجوده، فيتشكل الانتماء بشكل بدهي في اللاوعي من مجموعات "متكاملة من الأفكار والقيم والأعراف والتقاليد التي تتغلغل في أعماق الفرد، فيحيا بها وتحيا به، حتى تتحول إلى وجود غير محسوس، كأنه الهواء الذي يتنفسه ولا يراه"(١١)، وبحسب تشبع الفرد بهذا الإحساس فإنه يتملكه، ويحاول أن يعدد في انتماءاته ويقويها، ليحقق مزيدًا من الإشباع النفسي والشعور بالأمان الاجتماعي، ومن ثم نرى اتساع رغبة المرء "في الانتماء إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها، ويوحد نفسه بها كالأسرة أو النادي أو الشركة، أو المصنع ذي المركز الممتاز "(١٢).

ويُشكل الانتماء من جانب آخر الحقيقة الوجودية للإنسان على هذه الأرض، لأن حقيقة الإنسان وجوهره تقوم على "عناصر ومقومات مادية ومعنوية، وهي مجموعة من العناصر الانتمائية المتنوعة من الدين والوطن في جانبيه الطبيعي والبشري"(١٣)، أي أن جوهر تحقق كيان الفرد نتاج تجمع عدة انتماءات متكاملة، وهوية مجتمع يمنح أفراده الأمن والاستقرار عبر الانتماء إليه، ويبرز هنا دور المبدعين والمصلحين والمفكرين، من خلال تعزيز هذه القيمة ومحاولة تجذيرها لدى أفراد الوطن والمجتمع، للوصل بهم إلى برّ الأمان النفسي من جهة، ومن جهة أخرى الحفاظ على تماسك الوطن وعدم تفكك المجتمع.

ومن هنا؛ سوف نتتبع مدى إبراز جويدة في قصائد الديوان للتغيرات التي اعترت المجتمع فتسببت في انخفاض الحسّ الانتمائي فيه، وكيف برزت في الديوان ثيمات مهيمنة، وأفكارًا مسيطرة تعبر عن "العناصر الضامة أو الجامعة لمجتمعه، من قيم وعادات وتقاليد، ومكونات وعي هذه الجماعة من الناحية الأيديولوجية والمادية"(١٤).

المنهج الموضوعاتي

تتبنى هذه الدراسة المنهج الموضوعاتي في معالجتها لقصائد ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟)، حيث يرتكز المنهج الموضوعاتي عند تحليل النصوص على "ملاحظة ائتلاف وتجاوب عناصر النص وأجزائه في وحدات معنوية، تكون مدارات أو محاور النص العامة"(١٥)، وقد ظهرت المقاربة الموضوعاتية في أوروبا في ستينيات القرن الماضي ووجدت إقبالاً من النقاد الغربيين والعرب على حدٍ سواء، حين "تعاملت هذه المقاربة مع النص الأدبي شعرًا ونثرًا وذلك باستقراء الثيمات الأساسية في النص، مع تحديد دلالتها المتواترة انطلاقًا من العنوان، ثم تفكيك النص وتشريحه للوقوف على قيمه".(١٦)

أما عن مصطلح الموضوعاتية فإننا نجد اضطرابًا ملحوظًا في تحديده، إذ تتنوع تعريفاته وترجماته بحسب مرجعيات النقاد والباحثين، واختلاف تطبيقاتهم لهذا المنهج النقدي، وكذلك تعدد المدلولات الاصطلاحية والأدوات الإجرائية لهذا المنهج، لتبرز فكرة أنه "ليس هناك أكثر إبهامًا من الموضوعاتي، حتى ونحن نعود إلى جذر الكلمة في استقصاء لدلالتها وقرابتها الضمنية والخفية، واكتشافاتها للبنيات الفكرية للأعمال".(١٧)

إذ أثار مصطلح (موضوعاتي) باشتقاقاته المختلفة (Théme – Thématis – Thématque) تفاوتًا ملحوظًا في ترجمته لدى الباحثين، فظهرت مصطلحات عربية متعددة مقابلة له، مثل: "النقد الموضوعاتي أو التيماتي Critique Thématque، والنقد الظاهراتي Critique Phénoménologique، والنقد الجذري Critique Radicale، ثم النقد المداري ويُقصد به النقد الشمولي Critique Totalitaire".[١٨]

وبالرغم من تعدد ترجمات هذا المصطلح، وقيام إشكالية حول ماهيته، يمكن أن نرى في هذا المنهج محاولة لفك الدوافع العميقة لعالم كاتبٍ ما، من خلال تتبع الموضوعات الثابتة والمتكررة لديه، أو المهيمنة عنده، ليصبح المنهج الموضوعاتي بهذا المفهوم "بحث عن النقاط الأساسية التي يتكون منها العمل الأدبي، ومقاربة الكشف عن هذه النقاط الحساسة التي تجعلنا نلمس تحولاتها، وندرك روابطها في انتقالها من مستوى تجربة معينة إلى أخرى شاسعة".[١٩]، وبذلك تتركز مقاربات النقد الموضوعاتي في "البحث عن الموضوع أو الثيمة التي تشكل الكاتب وتظهر في كتاباته".[٢٠]

إن أهم ما يميز هذا المنهج هو مصطلح (الثيمة) أو الفكرة المهيمنة، وانطلاقًا من هذا التتبع الثيماتي فإن المنهج الموضوعاتي "يعد الثيمة تجربة، أو سلسلة من التجارب التي تؤسس وحدة محدودة في النص الأدبي، تشبه الخلية الرحمية أو شبكة من الأفكار الملحة"[٢١]، ومن خلال هذا الارتباط القوي بالثيمة؛ يتبين لنا أمران "أولهما: يرتبط بالأفكار الأكثر ترددًا في عمل المبدع، فالقراءة الموضوعاتية ليست كشفًا بالتواترات بل جملة الصلات التي يرسمها العمل الأدبي في علاقتها بالوعي الذي يعبر عن ذاته خلالها، الآخر: يشير إلى اللفظ اللغوي الأكثر ترددًا في عمل أدبي ما، بمعنى أنه طريقة تجميع المواد حسب الموضوعات".[٢٢]

وقد حدد الناقد دانييل برجيز في مقاله (النقد الموضوعاتي) بعض الأسس الجمالية والفلسفية الخاصة بالمنهج الموضوعاتي، حيث حصرها في نقاط ثلاث هي: وعي الأنا المبدعة ثم العلاقة مع العالم وأخيرًا العلاقة التبادلية بين العالم والوعي. بينما عدّد مقومات إجراء النقد الموضوعاتي في أربعة أمور هي: عدّه العمل الأدبي وحدة كلية، المعارف عديمة الجدوى، وجهة نظر القارئ، وأخيرًا الموضوع[٢٣].

لذا كان من الأنسب تتبع حسّ الانتماء في الديوان المعني بالدراسة وفق المنهج الموضوعاتي، لأن تلاقي جميع الدلالات الجزئية في وحدة شاملة نهائية يُضفي مزيدًا من الوحدة الموضوعية والانسجام؛ ليبرز المعنى العام الذي تنتظم من خلاله الرؤية التي يبثها الشاعر في الديوان، كما تعد النظرة الموضوعاتية للنصوص مهمة في تقديم تصور دقيق لنسيج العمل الأدبي، وذلك بحسبان الموضوع في العمل الأدبي هو إحدى الوحدات الدلالية، أي أحد أصناف التواجد المعروفة بفاعليتها المتميزة داخله.

ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟)

صدر هذا الديوان عام ٢٠١٠م عن دار الشروق، وكان ذلك في السنة الأخير من حكم الرئيس محمد حسني مبارك، وهي فترة اتسعت فيها مساحة الحرية وهامش التعبير بشكل نسبي، ولعل نشر مثل هذا الديوان أصدق تعبير عن أجواء تلك الفترة، وكان الشاعر فاروق جويدة قد اتخذ منحى النقد للنظام، والتعبير المتتالي عن رفضه التام لسياسات الحكم آنذاك، وقد احتوى الديوان على ثلاث قصائد، هي:

١. هذي بلاد .. لم تعد كبلادي

٢. ماذا أصابك يا وطن؟

٣. هذا عتاب الحِبُّ .. للأحباب

والملاحظة الأولية هي قلة عدد قصائد الديوان، في إشارة لا تخفى من الشاعر إلى أن هذا موطن الصمت لا الكلام، فلن تغني كثرة الكلام والقصائد؛ ولن تجدي مع الكوارث التي حلت بالوطن، ومع استمرار النظام الحاكم حينها في معاداة شعبه، وقتله بشكل كامل لكل ذرة انتماء لا تزال في وجدان بني الوطن.

وعلى سبيل المثال؛ فإن مقارنة الديوان المدروس (ماذا أصابك يا وطن؟) بديوان آخر لنفس الشاعر في بداية تجربته الشعرية، مثل ديوان (وللأشواق عودة) يُمكّننا من ملاحظة مدى التبدل /التحول الذي طرأ على الثيمات المهيمنة على الديوانيين، ورؤية التذبذب الحاصل في حسّ الشاعر الانتمائي لهذا الوطن بحاله المتردي، والذي يراه بلدًا آخر لا يمت له بصلة.

ففي ديوان (وللأشواق عودة) والذي نُشر لأول مرة عام ١٩٨٧م؛ نرى خمسًا وعشرين قصيدة تمثل مجمل القصائد فيه، منها إحدى عشرة قصيدة تدور حول مصر وحب الوطن، وتشيع في كامل الديوان مفردات تشير إلى تأصُل هذا الحب مثل: الأهرام، النيل، الحقول... إلخ، ونسبة هذه القصائد ٤٤% من حجم القصائد المكونة للديوان، وهي نسبة كبيرة في ديوان واحد، كما أنها تبرز ثبات قيمة الانتماء وقوتها في هذه المرحلة الزمنية التي مرت على الوطن، وبخاصة بعد انتصار أكتوبر ٧٣ على اليهود، كما تعكس كثرة هذه القصائد في هذا الديوان ثيمات الرضا والانسجام من ناحية الشاعر؛ وكذلك ثيمات الفخر والاعتزاز تجاه ما يحدث في وطنه بشكل عام، واتضح هذا الحسّ الانتمائي بداية في عناوين القصائد، مثل: (وتهدأ الأحزان – عشقناك يا مصر – في رحاب الحب – وأشتاق فيك – المقاتلون بدماء مصر).

ويمكن أن نرى بوضوح تحقق الحسّ الانتمائي، وولاء الشاعر لبلاده بشكل كبير في ديوان (وللأشواق عودة)، من خلال تكرار ثيمة (الفخر والاعتزاز) وهيمنتها، استدعت هذه الثيمة معظم المفردات والصور الدالة على الحب والانتماء، ففي قصيدة (عشقناك يا مصر) يعلن انتماءه وحبه بشكلٍ مباشر، وأن مصر مختلطة بجوانحه وفي سويداء قلبه بين الضلوع:

حملناكِ يا مصرُ بينَ الحنايا
وبينَ الضلوعِ .. وفوقَ الجبينْ
عشقناكِ صدرًا .. رعانا بدفءٍ
وإن طالَ فينا زمانُ الحنينْ
فلا تحزني في زمنِ الجحودِ (وللأشواق عودة، ٨١)

وتقوم كذلك في قصيدة (نحن والحرمان) دلالات متواترة تسيطر من خلالها الثيمة السابقة (الفخر والاعتزاز)، ولن تسيطر ثيمة (الفخر) هذه على الديوان إلا بسيطرة الانتماء القوي على الشاعر، والولاء المهيمن على ذرات قلبه جميعًا، مما يعكس حالة من الثبات الانتمائي لديه في هذه الفترة:

يا سادةَ الأحقادِ .. مصرُ بشعبِها
بتراثِها .. بصلابةِ الإيمانِ
مصرُ العظيمةُ سوفَ تبقى دائمًا
فوقَ الخداعِ .. وفوقَ كل جبانِ
حلمُ الغريبِ .. وواحةَ الحيرانِ
بينَ الورى فخرًا لكلِ زمانِ
يا من تُريدونَ الزعامةَ ويحكمْ
مصرُ العظيمةُ .. كعبةُ الأوطانِ (وللأشواق عودة، ٥٦ + ٥٧)

استمرت هذا الأفكار المهيمنة ثابتة في عموم قصائد الديوان، تعلو دلالاتها المتواترة وتشتد ولا تهبط، وتستقطب الثيمة كل المفردات والذكريات التي ترسخت من حالة الفخر والاعتزاز، فيُفرد النيل بخطاب وحده في قصيدة (الأرض والإنسان):

يا نيلُ .. ماؤكَ للوجودِ هدايةُ
عاشتْ على دربِ السنينِ منارًا
ما كانَ حبكَ في دمائي رغبةً
محمومةً .. ما جئتُه مُختارًا
يا نيلُ .. فيكَ من الحياةِ خلودُها
كلُ الورى يفنَى .. وأنتَ الباقي (وللأشواق عودة، ٦٨ + ٦٩)

وتعكس هيمنة ثيمة (الفخر والاعتزاز) قوة انتماء الشاعر بالأرض، حين ظهرت كلمة الأرض في عنوان القصيدة، ثم ظهرت الأفكار المهيمنة الدالة على الارتباط المكاني بالأرض وما تمثله، فمصر بنيلها وشعبها وهي الكعبة والواحة ... إلخ، وعزز كل هذا من تنامي الثيمة السابقة ولذلك لا نلمح تغيرًا في مستوى الانتماء في عموم ديوان (وللأشواق عودة).

وهنا تكمن المفارقة؛ فعند قراءة ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟) تظهر ثيمات أخرى دالة على حالٍ مغاير، لقد تبدل الحال وشاعت نبرة الأسى في القصائد الثلاث، وضعفت/ تلاشت أحاسيس الانتماء وراء جدرٍ سميكة من الصدمة والذهول، وكأن ما حدث في الوطن أحاله إلى بلد مغاير ومختلف، لا يراه الشاعر شبيهًا بوطنه الذي أحبه وانتمى إليه طوال عمره.

الانتماء في ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟)

يعي الشاعر جيدًا وهو يقدم قصائد الديوان الثلاث؛ أن الانتماء للوطن والولاء للبلد يقوم على الاعتزاز والاهتمام بكل مكونات هذا الوطن، من أرض وبشر، وأمجاد وتراث، وحضارة ودين ولغة، مع نبذ روح التعصب والفرقة، وإزالة الفوارق الطبقية التي تقسم المجتمع إلى فرقٍ وشيع متنابذة، ويدرك كذلك أن روح الانتماء إنما تكبر وتشتد حين يتيح الوطن كثيرًا من الحرية والكرامة لأبنائه، وبغير كل هذا فإن مشاعر التمرد وعدم الانتماء هي التي تسود وتقوى، وتسري بين أبناء الوطن.

ومن هنا؛ سنبدأ في الصفحات التالية في تناول الثيمات (الرئيسية) المتغلغة في حنايا القصائد، والأفكار المهيمنة (الثيمات الفرعية) التي وردت في قصائد الديوان الثلاث، ورصد الدلالات المتواترة في الثيمات الأساسية والفرعية، وقياس كل هذا بميزان التحول والثبات، أو التلاشي والقوة في قيمة الانتماء.

ويتناول التحليل في هذا الإطار قيمة الانتماء عبر الثيمات المسيطرة من جانبين ، أولهما: ثيمة (الحيرة والحزن) وتجليها في العتبات النصية ودلالتها على التبدل الحاصل في الحسّ الانتمائي، ثانيهما: تتبع رؤية الشاعر حين يقدم الأسباب والتحولات الموضوعية التي نتج عنها فقدان هذه القيمة، وكان التدقيق في رؤية الشاعر من خلال ثلاث ثيمات مهيمنة، أولها ثيمة (المقارنة) حين يقارن جمال الماضي بقبح الواقع، ثانيها ثيمة (اليأس) عندما قتل الوطن الأحلام ووأد الطموح، ثالثها ثيمة (الفساد) الناشئ من سيطرة الفاسدين على مقدرات الوطن، والتوقف أمام تضام هذه الثيمات لتتضح فتتضح بدلالات معينة يريدها الشاعر، ويقصد إليها قصدًا.

أولاً: ثيمة (الحيرة والحزن) والعتبات النصية

يتعين على المتلقي كي يدخل إلى عالم النص أن يطرق أبوابه، وتتمثل هذه الأبواب في عتبات النص المحيطة به، إذ تعد مداخل ومخارج للنص وتحاوطه قبلاً وبعدًا، لتتجلى بوصفها "نصوصًا مستقلة تقابل النص الرئيسي، وتتمثل في العناوين والعناوين الفرعية، والمقدمات والذيول والصور والهوامش وكلمات النشر"[٢٤]. وتعد العتبات موجهات ذات دلالة محددة يُقصد بها المتلقي رأسًا، لأن أول ما يدركه القارئ من الكتاب عتباته الخارجية والداخلية، فهي – أي العتبات "لا تحجب النص عن متلقيه بل تسرب له شيئًا منه، وتسمح للمتلقي بالمساهمة في إنتاجه، وذلك لما لها من أهمية في فهم النص وتحديد شيء من مقاصده الدلالية"[٢٥].

يدرك جويدة أهمية هذه العتبات وما لها من أثر على المتلقي، وفي توجيهه من البداية ليقرأ النص كما أراد له مبدعه – أو على الأقل قريبًا من ذلك، فأقام جويدة عتبات خاصة بهذا الديوان (ماذا أصابك يا وطن؟) فتمايز بها عن غيره، وأقام من خلال هذه العتبات ثيمة محددة شكلت في مجملها "بنيات لغوية وأيقونية تتقدم المتون وتعقبها، لتنتج الخطابات الواضحة لها، وتُعرف بمضامينها وأشكالها وأجناسها، وتقنع القارئ باقتنائها"(٢٦).

كانت الثيمة الأبرز التي تكررت من خلال مفردات العتبات النصية هي ثيمة (الحيرة والحزن)، وبينت هذه الثيمة عبر دلالات لا متناهية ما اعترى قيمة الانتماء وما طرأ عليها من تحول لدى الشاعر في الديوان، وأول ما يطالعنا من هذه العتبات هو عتبة صفحتي الغلاف الأولى والأخيرة، فأما صفحة الغلاف الأمامية فنرى فيها صورة نصفية للشاعر وقد اتكئ بجبهته على أطراف أصابعه، مادًا بصره إلى اللاشيء، ويقسم الصفحة (بالصورة) بشكل طولي لونٌ زيتي يميل إلى القتامة، ثم يأتي عنوان الديوان بخط عربي كبير (ماذا أصابك يا وطن؟).

تبدت هذه الثيمة بشكل جلي ودلالة مقصودة في نظرة الحزن والشرود التي تتضح في عين الشاعر، مع إسناد جبهته على أطراف الأصابع، إذ توحي تلك الهيئة بحالة ممتدة من الحزن والشجن الممزوج بالتفكير على ما وصل إليه حال الوطن المنهوب الضائع، والشعب الذي يموت، كما عضد من تشكُل الثيمة وتنامي حضورها بدلالتها الممتدة وجود اللون القاتم، البعيد كل البعد عن أي بهجة وإشراق، وليس من قبيل المصادفة أن يختار المصمم ذات اللون المستخدم في طلاء جدران زنازين السجون، في إشارة واضحة إلى أن الوطن في سجن كبير، وأنه رازح تحت وطأة سجان لا يرحم، وعصابة طاغية تمتص خيرات الوطن.

وتكررت هذه الثيمة (الحيرة والحزن) في الصفحة الأخيرة (صفحة الغلاف الخلفية) بطغيان اللون الزيتي عليها، فتكتسي به جميعها، ليشير إلى وقوع كامل تراب الوطن تحت نير المعاناة، وإلى ابتعاد روح التفاؤل والبهجة عن نفوس المصريين، فهو – أي الشعب – محبوس في زنزانة كبيرة تسمى وطن، هذه الزنزانة تكتسي جدرانها بلون يملأ جنبات النفس تشاؤمًا ويأسًا.

وتكتمل أركان الثيمة المهيمنة على العتبة بوجود أبيات شعرٍ في صفحة الغلاف الأخيرة، أثبتها الشاعر بخط يده، عبارة عن عشرة أبيات اختارها من القصيدة الأخيرة (هذا عتاب الحبِّ .. للأحباب)، اختارها من عموم القصيدة وليست متوالية، يقول الشاعر في صفحة الغلاف الأخيرة:

إنــي أحبـكَ رغـمَ أني عاشــقٌ سئمَ الطوافَ .. وضاقَ بالأعتابِ
كم جئتُ يحملُني حنيـنٌ جارفٌ فـأراكَ .. والجلادُ خلـفَ البـــابِ
هرمٌ بلونِ الموتِ .. نيلٌ ساكنٌ أُســــدٌ محنطــــةٌ بـــلا أنيـــابِ
بينــي وبينـكِ ألفُ ميلٍ بينمــا أحضـــانكِ الخضــراءُ للأغـــرابِ
فلترحمِي ضعفِي .. وقلةَ حيلتَي هذا عتـابُ الحـبِّ .. للأحبـابِ

(ماذا أصابك يا وطن؟ صفحة الغلاف الأخيرة)

تستعين ثيمة (الحيرة والحزن) لبسط هيمنتها الدلالية بالألوان والصور، وكذلك الشعر حين تُختتم الصفحة الأخيرة بهذه الأبيات السابقة (غير المُرتبة) بوصفها الرسالة الأخيرة التي يوجهها للوطن، غاب فيها كل ما كان جميلاً في الوطن، فالنيل ساكنٌ كالموتى، والهرم قد اتشح بالموت ورائحته، حتى أسدي كوبري النيل قد صارا بلا قوة بعدما فقدا أنيابهما، يتباعد عنه هذا الوطن، إذ أحضانه مفتّحة للغريب ولا ترحب بالابن القريب، وفوق كل ذلك جلادٌ مستبد متربصٌ بأبناء الوطن يفتك بهم، ويكمم أفواههم.

تبث هذه الثيمة المهيمنة أفكارًا دالة من خلال هذه اللوحة بما فيها من أبيات معان مختلطة، وتستقطب مشاعر شتى فيها الحسرة على ما آل إليه الوطن، وفيها الرجاء أن يقبل الوطن نداءه ويعود لأبنائه قبل فوات الأوان، وكانت النتيجة أن روح الانتماء تجلت في أدنى مستوى لها حتى لا تكاد تُحس، ومع ذلك فلا يزال الشاعر محافظًا على عشقه وحبه لبلاده، وظهر ذلك الحب في عتابه وشفقته على الوطن في الأبيات، بعيدًا عن روح التشفي ومشاعر النقمة.

وقد أثبت الشاعر هذه الأبيات الأخيرة بخط يده مباشرة، ونرى مثل هذا الفعل في الإهداءات وعناوين القصائد، كل ذلك خطّه الشاعر بيده مذيلاً ذلك بتوقيعه الشخصي، الأمر الذي نرى عكسه في دواوينه الأخرى إذ كان يكتب ما يشاء من عناوين وغيرها عن طريق الحواسيب أو الآلة الكاتبة، ولا تخفى على المتلقي الدلالة المباشرة لهذا الفعل، إذ يلغي الشاعر بهذا الفعل الحاجز بين ما يخطه بيده والمتلقي، فيقيم تأثيرًا مباشرًا في النفوس حين تجد خط الشاعر أمامها في النص، ومن جهة أخرى فإن الشاعر يؤكد بهذا السلوك نسبة هذا الإبداع بما يتضمنه من رسائل إلى نفسه، متحملاً تبعة رأيه.

ويتأكد هذا المعنى في ظل فهمنا لطبيعة المرحلة التي صدر فيها الديوان، حيث كان النظام يدافع بضراوة اليائس المستميت عن وجوده وكيانه، فسجن المعارضين، ونكّل بالمنتقدين له، وحارب الكلمة وقصف الأقلام، فجاء ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟) صارخًا كالنذير وداعيًا إلى الإفاقة، فكان ما خطه الشاعر بيده مباشرة، ونشره بنفس الهيئة ليقدم من خلال هذا الشكل رسالة للنظام وللمتلقي على حدٍ سواء: أن وقت الخوف قد ولى، وأن الصمت ملعون، ولن يظل الشعب المقهور ساكنًا وصامتًا إلى الأبد، فهي – إذاً – دعوة مبطنة إلى الثورة والتمرد، هذه الدعوة التي خطتها يدُ الشاعر بشكلٍ مباشر آتت أكلها بعد ذلك بعدة أشهر، متمثلة في ثورة شعبٍ كامل في يناير ٢٠١١م.

وتمثل ثيمة (الحيرة والحزن) المحور الرئيس في العتبة النصية الثانية "عتبة العناوين"، فتبرز عناوين القصائد كأفكار مسيطرة أو ثيمات فرعية تتحمل دلالات متواترة متكررة، وقد جاءت عناوين هذا الديوان محصورة في أربعة عناوين، واحدٌ يمثل عنوان الديوان، ثم عنوان بعد ذلك لكل قصيدة من القصائد الثلاث. فأما عنوان الديوان فجاء في تركيب استفهامي لا ينتظر الشاعر إجابته، يحمل نبرة الأسى والحسرة والصدمة، استفهام مطلق بلا جوابٍ يُنتظر، وما يثير الانتباه أن التركيب في العنوان يحتوي أسلوبين إنشائيين هما: الاستفهام والنداء، الأمر الذي يشدُّ المتلقي ويجذب انتباهه أكثر.

كما أن تنكير كلمة (وطن) في العنوان الرئيس وهو المنادى كذلك يتحمل دلالة خطيرة، أن الوطن أصبح غريبًا عنه لا ينتمي إليه الشاعر بشكل مباشر، فهو لم ينسبه لنفسه (وطني)، وكذلك لم يضف له علامة تعريف (الوطن)، إن استدعاء الثيمة لتنكير كلمة (الوطن) يدل على مدى التباعد وتلاشي الحسّ الانتمائي في نفسه تجاه هذا الوطن.

لقد هيمنت الثيمة الرئيسية كقطب تدور حوله عناوين القصائد، تجلى ذلك في عنوان أول قصيدة، التي حملت عنوان (هذي بلادٌ .. لم تعد كبلادي)، إذ نطالع التنكير في كلمة (بلادٌ) الأولى والتعريف في الثانية (بلادي) بياء النسبة، في إشارة واضحة إلى ترسُخ ثيمة (الحيرة والحزن) مما يشير إلى ضعف روح الانتماء لهذه البلاد الغريبة عليه، التي لا يعرفها الشاعر، مؤكدًا على ذلك بأداة النفي (لم)، وأيضًا حين باعد بين شطري العنوان بنقطتي تباعد، كل ذلك يقدم رسالة بمدى التباعد النفسي بينه وبين هذه البلاد الغريبة التي لا تشبه وطنه، وتلاشي الانتماء إليها.

ولا يفوتنا كذلك دلالة صيغة الجمع في لفظتي (بلادٌ – بلادي) على انتقال المعنى من حالة التخصيص إلى حالة من العمومية، ويتسع مدى هيمنة ثيمة (الحيرة والحزن) حين يجد المتلقي نفسه متوحدًا مع أشقائه في البلاد العربية الأخرى، ويرى أن ما يحدث في وطنه مصر له شبيه في البلاد العربية المجاورة، فتصبح الكارثة أكبر؛ والخطر أشد في أثره على الأوطان جميعها.

ونرى عنوان القصيدة الثانية هو ذاته العنوان الرئيسي للديوان (ماذا أصابك يا وطن؟)، أما عنوان القصيدة الثالثة فهو تأكيد على حضور الثيمة المهيمنة التي تتكرر من خلالها النقاط الحساسة المراد إبرازها، وجاء عنوانها (هذا عتاب الحِبِّ .. للأحباب)، حيث مرارة التراجع، وحسرة النصح الذي لا يُسمع، إن الشاعر يختتم حالة القسوة التي ظهرت في القصيدتين السابقتين بقصيدة يُثبت في عنوانها بدايةً حبه، وأنه لولا هذا الحب ما كانت القسوة في النصح، وأنه لن يتخلى يومًا عن انتمائه للوطن، ولكنه كان يرجو لو يستمع إليه الوطن، ويعيره أذنًا مصغية، قبل حدوث الكارثة ويضيع الوطن.

لقد عبرت عموم العناوين في ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟) عن ثيمة مهيمنة ومتكررة (الحيرة والحزن)، استدعت دلالاتها كل مشاعر التوجع والألم على ما صارت إليه حال البلاد، وتشير كذلك إلى بلوغ حالة التباعد أقصى مدى لها بين الشاعر والوطن، ويؤكد هذا تكرار اسم الإشارة مرتين (هذى –

هذا)، في دلالة على حالة التيه والتخبط، وحالة من انعدام الانتماء وبُعد الوطن عنه لدرجة أنه يشير له بهذا وهذي، وليس الوطن كما كان في السابق معجونًا بداخله، ومتماهيًا مع كل ذرات وجدانه.

وتتجلى كذلك ثيمة (الحيرة والحزن) في عتبة الإهداءات، وتظهر الدوافع العميقة التي تشكل هذه الثيمة، فقد ورد في الديوان ثلاثة إهداءات، واحدٌ منها شعرًا في بداية الديوان، وأثبتها الشاعر كذلك بخط يده، ثم بعد ذلك جاء إهداء تحت عنوان القصيدة الأولى، ثم إهداء تحت عنوان القصيدة الثانية، بينما لم يأت إهداء للقصيدة الثالثة.

فأما الإهداء الأول، والذي أُثبت في صفحة الإهداء في مقدمة الديوان:

قد كانَ حُلمي أن يزولَ الهمُّ عني
عندَ بابكْ
قد كانَ حُلمي أن أرى قبري
على أعتابكْ
الملحُ كفنِي وكانَ الموجُ
أرحمُ من عذابكْ
وبخِلت يا وطني بقبرٍ يحتويني في ترابكْ
فبخِلت يومًا بالسكنْ
والآن تبخلُ بالكفنْ
ماذا أصابك يا وطنْ؟ (ماذا أصابك يا وطن؟ صفحة الإهداء)

استفاضت الثيمة المهيمنة في رسم صورةً مفجعة عن تبخر حلم الشاعر بعدما أوصد الوطن أبوابه في وجهه، يوم تعنت الوطن معه فاضطره أن يهاجر ويترك أرضه الحبيبة، وكانت النتيجة أن غرق في البحر وابتلعته الأمواج، وبخل عليه الوطن حتى بحفنة تراب تضمه سكنًا أو قبرًا، لتوظف الثيمة إهداءً مليئًا بكل مفردات الانفصال والتباعد، وتُظهر ثيمة (الحيرة والحزن) بوضوح أن الحسّ الانتمائي في هذه العتبة في أقل حالته، وأدنى درجات الارتباط، وتنامت هذه الثيمة هنا من خلال كلمات قدمها وعيه بشكل متكرر تتحمل هذه المشاعر السلبية: (الهمّ – قبر – عذاب – الكفن – بخل – الملح – الموج).

كما وظفت الثيمة في بسط وجودها عبر هذه العتبة تقنية التكرار اللفظي والفكري، لتتضافر كل العناصر الأسلوبية في تقديم هذه الثيمة وتأكيد هيمنتها، ففي هذا المقطع الشعري تكررت كلمتي (حلم – قبر)، لتؤكد الثيمة الارتباط العكسي بين الحلم الجميل ونهايته كمواطن – كانت له أحلام في وطنه – في قبرٍ غريبٍ عن أرض الوطن، كما أن حركة القافية جاءت ساكنة كذلك لتشي بحالة السكون النفسي الذي يسيطر على الشاعر، حالة موات نفسية جعلته لا يحمل أي مشاعر تجاه وطن تخلى عنه، وترك أبناءه فريسة للموت والغرق، وطنٌ طرد أولاده ونهب خيرات أرضهم الطيبة ومنعها عنهم، ولذلك تحملت القافية

الساكنة دلالة مكثفة؛ تشي برائحة الموت الذي ضرب الوطن وبنيه، وأيضًا سكون الشاعر وانعدام الانتماء النفسي تجاه الوطن في ظل تخلي الوطن عن شبابه جميعًا.

لقد هيمنت ثيمة (الحيرة والحزن) على عتبة الإهداء السابقة، لتشي – من خلال أفكارها المهيمنة ودلالاتها الفرعية – بتدني ارتباط المبدع بوطنه وتلاشي انتمائه إليه، فهو لم يعد يرغب في أكثر من عتبة وطنه؛ أو أن يكون قبره عند أبوابه فقط، ويصرُّ الوطن على قتل أي ذرة انتماء داخله، وكل شعور ولاء لا يزال في قلبه برفضه حتى هذا الحلم البسيط، فيقيم الشاعر مشهدًا يدلل على انعدام هذا الانتماء، حين صوّر تلاطم الأمواج وإغراقها له بلا رحمة، ومع ذلك فالموت غرقًا أرحم عند الشاعر من قسوة الوطن، والشدة التي أظهرها تجاه أولاده كلهم، وما أشدّ القسوة عندما تكون من المحبوب، ويبرر الشاعر زوال قيمة الانتماء لديه تجاه الوطن حين أكّد بخل الوطن عليه حيًا وميتًا، فلم يمنحه سكنًا أو أمنًا وهو حي، ولا حتى قبرًا أو احتضانًا وهو ميت.

أما الإهداء الثاني فجاء تحت عنوان القصيدة الأولى، كتب فيه الشاعر:

(إلى شهداء مصر من الشباب الذين ابتلعتهم الأمواج على شواطئ إيطاليا وتركيا واليونان)

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٨)

وقريبٌ من الإهداء السابق، كان الإهداء الثالث الذي أُثبته تحت عنوان القصيدة الثانية:

(إلى ضحايا سفينة الموت سالم إكسبريس)

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص١٧)

تبرز ثيمة (الحيرة والحزن) في الإهداءين السابقين مُحملة بدلالات متواترة تجعل المتلقي يقتنع بحالة الحنق، والغضب المقرون باليأس تجاه ما نزل بوطنه، فالموج يبتلع كل بني وطنه لا يفرق بين شابٍ يفرّ ليحقق بعض أحلامه – بعدما قتلها الوطن، أو ذلك الرجل المسن الذي يخرج حاجًا بيت الله، فالفساد قد نخر كل أجزاء الوطن، وقتل طموحات الشباب، وأطفأ كل جذوة أمل في النفوس، تُرك المفسدون يمرحون بلا رقيب، ويعيثون خرابًا وتدميرًا لمقدرات البلد، فكانت النتيجة تدهور حال الوطن، ولم يعد الشاعر يراه كما كان في مخيلته سابقًا، فأحس بغربة تجتاحه وانفصال يبعده عنه، وانعدم الانتماء لهذا الوطن الغريب.

وسيطرت كذلك فكرة فرعية دالة، من خلال ذكر الشاعر لأسماء دول مثل: (تركيا – إيطاليا– اليونان)، ليوحي ذلك بدلالة ذات عمقٍ إشاري كذلك؛ حيث أصبح الوطن طاردًا لأبنائه، فولوا وجوههم تجاه الدول القريبة من الوطن، وتعددت الدول التي أصبحت تُمثل وطن الأحلام للشباب المقهور المطحون، ولكن للأسف ليس من ضمن البلاد المذكورة اسم الوطن.

إن مراوحة ثيمة (الحيرة والحزن) في العتبات النصية بين الدلالات المختلفة؛ قد نتُج من تضافرها جميعا – عنوانًا وإهداءً وغلافًا؛ لتقدم صورة قاتمة لحال الوطن الذي انفصمت عرى الانتماء بينه وبين الشاعر، وشكلت هذه الثيمة بدلالاتها المتكررة لوحة متصلة تسمح للمتلقي بالتهيئة لما هو آتٍ من مرارة

وأسى وشجن في متن القصائد، فشاعت وتكررت مفردات تعبر عن حالة انعدام الانتماء، وحالة التباعد بينهما، وتضامت هذه الأفكار الفرعية المهيمنة جميعها لتقيم صورًا بصرية وبناءً لغويًا تشي بالمنسوب المتدني لقيمة الانتماء، والتي يحملها الشاعر بين جنبيه تجاه هذا الوطن الغريب، الوطن الذي لا يشبه موطنه الجميل الذي يعرفه حقّ المعرفة.

ثانيًا: الثيمات المهيمنة في الديوان

كي نتمكن من استبطان قصائد ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟)، ومقاربة التحولات التي طرأت على الحس الانتمائي لدى الشاعر في إطار موضوعاتي؛ لا بد لنا من التوقف أمام الثيمات المنبثة في القصائد، ومحاولة التدقيق في الأفكار الفرعية الدالة، إذ إن الوحدات الدلالية المتواترة العادية في اللغة تنزاح وتتغير دلالاتها بفضل تضامها في هذه الثيمة أو تلك، وكذلك دون إغفال لدوافع الشاعر الخاصة، وبشكل يختلف عن دلالتها المعجمية ثابتة. ولا يعود من الممكن حينئذٍ "إثباتها في وحدات قارة، إذ تصبح نتاجًا لتنسيق نحوي معين للوحدات المعجمية، بوصفها وحدات دلالية تتفاعل مع غيرها، حين يتم إعادة وضعها في الفضاء المتداخل نصيًا، وتوزيعها داخل مختلف السياقات"(٢٧).

يكتسب الموضوع الدال (الثيمة) دلالات إيحائية متعاظمة ومستمرة، وذلك من خلال وجوده في سياق معين داخل النص الأدبي، وهذا يجعل من عملية تأويل النص غير محدودة، فيصبح من الصعب الوصول إلى دلالة ثابتة أو وحيدة لجملة شعرية، يقول أمبرتو إيكو: "التأويل غير محدود، إن محاولة الوصول إلى دلالة نهائية ومنيعة سيؤدي إلى فتح متاهات وانزلاقات دلالية لا حصر لها"(٢٨)، ويدفع تعدد التأويلات للجملة الشعرية الواحدة المتلقي إلى محاولة الاقتراب من الرسالة المراد توصيلها، كما يحاول ألا يبتعد في تأويله عن الجو الذي شيده المبدع لنصه ونتاجه.

وتطبيقًا على ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟)، فإن الشاعر فاروق جويدة انطلق في تجربته الشعرية في هذا الديوان من خلال قناعات خاصة، ورؤية فكرية تملكت جوانب نفسه ووجدانه، فظهرت ثيمات معينة وأفكار مهيمنة تبرز هذه القناعات الخاصة، وقد سبق وأشرنا في مقدمة البحث إلى تناول جويدة لمفهوم الانتماء بشكل مجرد وصريح في مقالاته المنشورة، فقد حاول الشاعر في مقالاته رصد التحولات التي أدت إلى زوال هذه القيمة المهمة من نفوس الشعب، ويمكن أن نلاحظ في هذا الصدد مواكبة النتاج الفكري للشاعر مع إبداعه الفني ليتآزرا في ظهور ثيمات محددة تتحمل رؤيته، وتدق بالدلالات المترددة كجرس إنذار – فتنبه لخطر يراه الشاعر في المجتمع، من قيم تندثر أو مبادئ تزول وتنمحي.

إن ظهور ثيمات معينة في الديوان تكمن دوافعها – إذاً – في استشعار الشاعر لخطر انعدام الحس الانتمائي في نفوس شباب الوطن بخاصة، يقول جويدة مؤكدًا ذلك في مقاله (شيء في مصر .. كان يسمى الانتماء): "هنا نجح النظام السابق في أن يقضي على فكرة الانتماء للوطن، أمام واقع اجتماعي وثقافي واقتصادي وحضاري استطاع تقسيم الوطن ... وفي ظل هذه التقسيمات سقطت منظومة القيم

التي كانت تمثل العمود الفقري للمجتمع المصري، وكان الانتماء أول ضحايا هذا السقوط، سقطت منظومة العدالة .. سقطت منظومة التلاحم بين المواطنين"[٢٩].

يدرك الشاعر أن التحول في الحسّ الانتمائي والتدهور فيه لدى وجدان الشعب المصري؛ رهين تحولات واقعية ومجتمعية وسياسية، وأن تناوله لهذا المفهوم عبر ثيمات بارزة وأساسية في مقالاته أو شعره أمرٌ مهم لزيادة الوعي ودفعًا إلى طريق التغيير، وكما أبدع في قصائد الديوان الثلاث؛ وأهداها إلى شهدائنا الشباب الذين قضوا نحبهم في عرض البحر أثناء فرارهم من وطنهم، فإنه في الوقت ذاته كتب مقالاً ضافيًا في جريدة الأهرام اليومي بعنوان (شباب مصر بين الهجرة والانتماء)، تناول فيه مفهوم الانتماء وعالج فكرة اندثاره لدى فئة الشباب، خاصة مع عملية القتل الممنهجة لأحلامهم.

يقول جويدة في ذلك المقال: "أتابع مسيرة شبابنا في الحياة بين الأمل والإحباط، وبين الأحلام والتمرد، وبين القدرات والمتاح ... كان الانتماء أهم مكونات الشخصية المصرية بما يحمله من ثوابت الأرض والدين والثقافة والبعد الحضاري والإنساني، وقد تراجعت هذه الجوانب، ولم يكن غريبًا أن تطيح بعض الظواهر الدينية والفكرية والسلوكية بالكثير من مكونات الشخصية المصرية"[٣٠].

وقبل أن نتتبع الثيمات التي قدمها الشاعر في القصائد الثلاث؛ مبلورًا من خلال أفكارها المهيمنة ودلالاتها المتواترة رؤيته للتحول الطارئ في منسوب الانتماء كقيمة، نؤكد على أمرين، أولهما: أن الشاعر في تقديمه لرؤيته يعبر عن أبناء الوطن، بوصفه أديبًا يعكس نبض المجتمع الذي يعيش فيه ويؤثر ويتأثر به، فهو إذاً يعبر عن واقع يلم بتفاصيله، وأسباب يتلمسها. الأمر الآخر: أن انتماء الشاعر لوطنه وولاءه له ليس محل شك أو اتهام، أو أن حبه لبلاده قد قلّ وتلاشي بالكلية، فما هو إلا عتاب الحبِ للحبيب كما قال هو بنفسه، كما أن رصده للتحولات والأسباب التي غيرت من مستوى الانتماء ومدى تشبع النفوس به – من خلال الثيمات المهيمنة؛ ما هو إلا جرس إنذار يدقه تجاه من يملكون طرق التغيير ومفاتيح التعديل، لعل أحدًا منهم ينقذ ما يمكن إنقاذه.

١. ثيمة (المقارنة)

تشكلت هذه الثيمة وانبسطت هيمنتها من خلال مستويات ثلاثة، بحسبانها مظهرًا يستقطب كل المعاني المعبرة عن تبدل حال الانتماء من النفوس، فعلى المستوى الأول وهو مستوى الوحدات المعجمية المفردة، حفل القاموس الشعري في ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟) بكلمات وألفاظ ذات دلالات متواترة أقامت هيكل ثيمة (المقارنة)، إذ نرى عددًا كبيرًا من المفردات التي توحي دلالتها بقبح الواقع من جهة، وتشير إلى جمال الماضي بما فيه من دفءٍ وذكريات، وجمال وحنين، مع التوظيف المستمر لتقنية التكرار لبعض هذه الألفاظ، مثل: (النخيل – الظلام – أهفو – الأسى – مقابر – سئمت – الأحقاد – كئيبة – سواد – الأمواج – الريح – الصقيع – الجوع – هجر – الأنين – دم – مآسي – الهم – الكفن – سكن – بخل).

ويسهم المعجم الشعري بدلالة كلماته المستدعاة في بلورة الثيمة وتشكيلها، فتدور الدلالات المتكررة حول معانٍ ذات فلك واحد، مثل: الحنين إلى الوطن، مع التأكيد على القبح البادي في وجه الحاضر، فالظلام والأسى يسيطران على البلاد مع شيوع الهم والحزن على النفوس، ويصاحب ذلك أنين ودعاء، ومثلت كل هذه الألفاظ ودلالاتها الحساسة اللبنات الأساسية لثيمة (المقارنة) التي أبرز فعل المقارنة فيها كآبة كل شيء يحيط بالشاعر، مما يعزز الفكرة التي يرمي إلى تجذيرها؛ وهي أن الوطن بواقعه البغيض (القبيح) لا يساعد على تعزيز قيمة الانتماء، بل العكس هو الحادث بعدما زال كل جميل من على وجه الوطن.

أما على المستوى الثاني فقد أخذت ثيمة (المقارنة) في التنامي بشكل أكثر وضوحًا، عبر حبك تراكيب ميزت التجربة الشعرية في الديوان، فتطالعنا تراكيب تكررت كثيرًا؛ وتدور جميعها في مدارٍ متقارب هو إبراز فعل المقارنة، والتوقف أمام الماضي بجماله والواقع بقبحه، لترسّخ ثيمة (المقارنة) في الذهن سؤالاً ليس له جواب: كيف يُنتمى لوطن على وجهه كل هذا القبح، ومعالم السوء نالت منه إلى هذه الدرجة؟ ومن هذه التراكيب التي شكلت عمادًا قويًا للثيمة: (لم تعد كبلادي – دفء الوادي – وجه بلادي – الصباح النادي – صخب الجياد – فرحة الأعياد – توارى سحرها – ثياب حداد – سرب جراد – صباها الغض – صبح كاذب – السماء كئيبة – جبال سواد – تتلاطم الأمواج – وداع أحباب – الحنين ينادي – سكن الوجود – نيل ساكن – هرم بلون الموت – أسد بلا أنياب – صمت المتعبين – النهر الحزين – جيوش الملح – التمر الملوث – همس حزين – أيام المحن –أشلاء السنين – اسودت الدنيا – توصد في عيوني – قوافل البؤس – الحزن كأسي – صدرك المهجور – نخيلك تاه – دفء القلوب – الملح كفني).

كست ثيمة (المقارنة) عبر تراكيبها المُوظفة كل ما يحيط بها كآبة وسوادًا، وحزنًا وأسى، وأقامت أفكارًا جزئية دالة حين وظفت لذلك مفردات الطبيعة، ومكونات الوطن، حتى الطعام والشراب، كل ذلك صُبغ بالحزن على واقعٍ مؤلمٍ للوطن، لتشي هذه الثيمة في كُليتها بمدى البؤس الذي ينخر عظام الوطن، الأمر الذي تريد الثيمة إبرازه لتؤكد أن حسّ الانتماء يتلاشى طرديًا مع زيادة البؤس والجوع عند أبناء الوطن، ومع انتشار المعاناة والموت، وكذلك مع تسلط التعب والشقاء وحالة التيه التي تعصف بشباب الوطن، يُودى كل ذلك إلى حالة من انعدام الانتماء والولاء، وكما تاه نخيل الوطن كان كذلك حال بنيه.

وبذلك تضافرت الدلالات المتواترة للوحدات المعجمية على مستوى الألفاظ والتراكيب في تشكيل ثيمة (المقارنة)، المظهرة لوجه الوطن وواقعه المؤسف، الأمر الذي يؤدي إلى انتزاع الانتماء رويدًا رويدًا من النفوس، ويهدد قيم الولاء عند الشباب، في مقابل ماضٍ مجيد يحن إليه الشاعر عزز جماله من الانتماء لديه.

وتتضح ثيمة (المقارنة) بشكل أكبر في المستوى الثالث، حين تتراوح الثيمة صعودًا وهبوطًا خلال سياقات تتضام فيها الألفاظ المفردة والتراكيب الدالة على عملية مقارنة لا تتوقف، إذ توظف الثيمة صورًا كثيرة في القصائد الثلاث تبين ما كانت وما أصبحت عليه مصر، ما بين جمالٍ يندثر وقبح يقوم، في سعيٍ حثيث من هذه الأفكار المتكررة (والمهيمنة) لتشكيل صورة ذهنية في عقل المتلقي يجعله في حالة قبول لانعدام الانتماء إذا كانت هذه هي أسباب ذلك التلاشي والانعدام.

وظهرت هذه الثيمة المهيمنة كذلك في استقطاب موضوعات فرعية دالة، إذ لم يُترك شيء في مصر إلا وخضع للمقارنة بين ماضيه وواقعه، لتجعل هذه الثيمة الكفة الراجحة شعوريًا ونفسيًا – وبشكل دائم – في صالح الماضي ببهائه وجماله، وأصالة قيمه وطيبة ناسه، أما الواقع فهو كالحٌ لا ترى فيه أي جمال أو ذرة إشراق، فالأحلام قد قُتلت، والأماكن صامتة صمت القبور، والمشاهدات تثير التقزز والاشمئزاز.

وإننا لنجد في القصيدة الأخيرة (هذا عتاب الحبِ .. للأحباب) عشرة أبيات متتالية تطل منها أفكارًا مسيطرة ومتكررة، تُبرز الثيمة المقصودة، إذ تقيم الأبيات مقارنة قاسية بين هذا الماضي الجميل الزاهي، مع الواقع الذي قتل الانتماء في نفوس الشباب، وجعلهم يهربون من وطنهم، يقول:

أحببتُ فيــكِ العمرَ طفلاً باسمًا	**جـاء الحيـاةَ بأطـهرِ الأثـوابِ**
أحببتُ فيــكِ الليلَ حينَ يضمنا	**دفءُ القلوبِ .. ورفقةُ الأصحابِ**
أحببتُ فيــكِ الأمَ تُسكــنُ طفلها	**مهـما نأى .. تلقـاهُ بالترحـابِ**
أحببتُ فيكِ الشمسَ تغسلُ شعرها	**عند الغـروبِ بدمعها المُنسابِ**
أحببتُ فيـكِ النيلَ يجري صاخبًا	**فيهيـمُ روضٌ في عنـاقِ روابِ**
أحببتُ فيـكِ شموخَ نهرٍ جامحٍ	**كـم كـان يُسكرني بغيرِ شرابِ**
أحببتُ فيـكِ النيلَ يسجدُ خاشعًا	**للـــهِ ربًا دونَ أي حســـابِ**
أحببتُ فيكِ صلاةَ شعبٍ مؤمنٍ	**رسمَ الوجودَ على هُدى محرابِ**
أحببتُ فيــكِ زمـانَ مجدٍ غابرٍ	**ضيعتــهِ سَفـهًا على الأذنـابِ**
أحببتُ في الشرفـاءِ عهدًا باقيًا	**وكرهــتُ كـل مقامـرٍ كـذابِ**

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٤٠ + ٤١)

تتبلور ثيمة (المقارنة) في الأبيات السابقة عبر تدفقٍ شعري يحمل بين ثناياه صورًا متتالية لما كان عليه الوطن، من ذكريات ومعالم وقيم تُمثل في مجموعها الأوتاد الراسخة لانتماء الشباب بوطنهم، وتُعلي من قيمة الولاء لديهم، وتجعل منهم أبناء بررة لهذا الوطن الذي أثخنته جراح الفساد والاستبداد، وتُعدد المقارنة كل جميل في الماضي وذوى جماله في الحاضر، كل ما كان مشرقًا وانطفأ بهاؤه، وكل ما كان دافئًا واندثر حنانه، وتذكر ليالي الدفء والسكن، والحنين لرفقة الأصحاب وإيمان الشعب، والتأمل في

المجد الغابر والنيل الصاخب برياضه الناضرة وروابيه المزهرة، ويتكرر في تشكيل الثيمة كذلك بيان القبح المتغلغل في حاضر الوطن وواقعه:

لا النيلُ نيلكِ .. لا الضفافُ ضفافُه حتى نخيلُك تاهَ في الأعشابِ

قـد روضُوا النهرَ المكابرَ فانحنى للغاصبين .. ولاذَ بالأغرابِ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٤٢)

تستدعي ثيمة (المقارنة) في البيتين السابقين فكرة فرعية تقوم على النيل – بوصفه رمزًا مصريًا مهمًا – كموضوع دال، لتُزجي من خلاله التغير الحاصل، إذ لم يعد ذلك النهر الشامخ الفتي، بل اجتاحه سكون كسكون الموت، فانحنى أمام المعتدين المستبدين، وخارت عزيمته فلم يعد يقاوم، تاه – كما الشعب – وتغيرت معالمه، وتتردد هذه الفكرة المهيمنة بكل صراحة ووضوح:

هرمٌ بلونِ الموتِ .. نيلٌ ساكنٌ أُسـدٌ محنطـةٌ بلا أنيــابِ

صوتُ البلابلِ غابَ من أوكارِه لم تعبئي بتشرُدي .. وغيابي

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٤٤)

اكتسى كل شيء في الواقع من خلال سيطرة ثيمة (المقارنة) بلون الموت ورائحته، فتوقف النيل عن الجريان والتدفق، ولم تعد ثمة قوة لدى الأسود التي هي رمز القوة والمقاومة الفتية، حتى صوت البلابل كرمزٍ للجمال والرقي خرُس وما عاد يُسمع، كل هذه المشاهدات الكئيبة نطالعها في الواقع الذي صورته ثيمة (المقارنة) كوجهٍ كالحٍ وأغبر له، ولعل وضوح هذه الثيمة أكثر في القصيدة الأخيرة يرجع لما تحمله من طابع العتاب، وما تتضمنه من نصحٍ للوطن الذي هجر أبناءه، فقصدت الثيمة تكرار هذه المفارقات علّ الوطن (مُمثلاً في من بيدهم مقاليده) يعود إلى جادة الصواب مع بنيه، ويحاول المسؤولون إعادة جمالٍ ذوى، ومجدٍ ضاع، وذكريات وحنين لا نجدهم في الواقع الكئيب.

وإذا كانت هذه المفارقات التي أقامها الشاعر سببٌ رئيس في محورية الثيمة؛ فهي في الوقت ذاته تبرر لانخفاض حسّ الانتماء لدى فئات الشعب أو انعدامه من الأساس، لذلك سنرى سعيًا حثيثًا في إثبات هذه المفارقات من أول صفحة من الديوان، والحقيقة أن مثل هذه المفارقات موجودة في القصائد الثلاث، كما هي في أول أبيات الديوان:

كم عشت أسألُ: أين وجهُ بلادي أين النخيلُ وأين دفءُ الـوادي

أشتـاقُ أطفـالاً كحباتِ النـدى يتراقصون على الصباحِ النادى

أهفـو لأيـامٍ تـوارى سحـرُها صخب الجيادِ .. وفرحة الأعيادِ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٩ + ١٠)

لقد تشكلت ثيمة (المقارنة) عبر الصور السابقة في مطلع القصيدة الأولى من الديوان، لتبث قناعة تتجذر من أول بيت أن الشاعر منفصلٌ في انتمائه بحسبانه يعيش الآن في بلادٍ غريبة لا تشبه وطنه

الذي يعرفه، فلا النخيل يشبه نخيل بلاده، ولا دفء الوادي يشبه الحنان الذي عايشه واعتاد عليه من أرضه، أين مرح الطفولة وبهجة الأعياد؟ إنه لا ينتمي لهذه البلد التي تغيرت معالمها عما ألف وعرف، ويهفو لأيام غابت بهجتها وذكرياتها الجميلة، وغابت تبعًا لذلك روح الانتماء في ظل التغير الحاصل على وجه بلاده، فكيف ينتمي لبلد غريب لا تربطه به صلة، كل ما يعرفه في بلاده أصبح من الماضي وليس له في الحاضر شيء، إن هذا الواقع يقتل فيه الانتماء، ويهوي به إلى الحضيض ويحوله من حالة الثبات والاستقرار، والتشبع به إلى حالة من التباعد وانعدام الانتماء تمسك بتلابيبه؛ فلن ينتمي الشاعر لبلد ليست شبيهة حتى بوطنه.

وتختلف ثيمة (المقارنة) في قصيدة (ماذا أصابك يا وطن؟) حيث تصور الموازنة حال (عم فرج) بين الماضي والحاضر، عبر تشكيل شعري موحٍ ومكثف، لتُرسم صورة محددة من خلال الثيمة لهذا الرجل الطيب – الذي يمثل عموم شعب مصر الطيب، هذا الرجل الفلاح الذي يرتبط ارتباطًا عضويًا بأرضه، وخرج من وطنه ليحج بيت الله الحرام، لتصبح نهايته الموت غرقًا في عرض البحر بعد أن ركب سفينة صنعتها يدُّ الفساد وصانتها، وتستر معدومو الضمير على ما فيها من عطب حتى أودت بحياة الطيبين من أبناء هذا الشعب:

(عمي فرجْ)
رجلٌ بسيطُ الحالْ ..
لم يعرفْ منِ الأيامِ شيئًا
غيرَ صمتِ المُتعبينْ
كنا إذا اشتدتْ رياحُ الشكِ ..
بينَ يديهِ نلتمسُ اليقينْ
كنا إذا غابتْ خيوطُ الشمسِ عنْ عينيهِ ..
شيءٌ في جوانحِنا يضلُ .. ويستكينْ
كنا إذا حامتْ على الأيامِ أسرابٌ
من اليأس الجسور ..
نراهُ كنزَ الحالمينْ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص١٩ + ٢٠)

تكررت قصة (عم فرج) وارتباطه بأرضه والنيل كثيرًا، لتصبح ركنًا أساسيًا في تشكيل ثيمة (المقارنة) المهيمنة على القصيدة، وتقدم ملحمة درامية تصور ما حدث من تحول في قيمة الانتماء لهذا الوطن، إذ ترددت موضوعات دالة كثيرة عن حياة (عم فرج) وذكرياته عن وطنه وحقله، كيف كان يسير فوق أرضه مزهوًا، وكيف كان يمشي فوق ماء النيل بتيه وافتخار، وكيف علّم الدنيا الصبر والعطاء،

وكيف كان يلتمس الجميع من عينيه الأمان والدفء والسكينة، وصفت المقارنة وجهه الطيب وقسماته المعجونة بالأمل والرشاد لهداية الحائرين. كل ذلك الوصف يرمز لشعب هذا الوطن كما عرفه الشاعر طول عمره، وصفٌ دقيق لكل أبناء الوطن حين كانوا ينتمون إليه ويرتبطون بترابه، وحين كان الوطن يُقدم لبنيه كل سبب ليشدهم إليه ويربطهم به.

الآن؛ تبدل الحال فمات الانتماء في النفوس، تحت ظلال واقع تغير فيه حال (عم فرج) وكل من يشبه (عم فرج)، فظهر جيلٌ لم يعد يؤمن بالوطن، جيلٌ كفر بالبلد، هذا البلد قاتل الأحلام، وطارد الشباب، البلد الذي ألجأ بنيه للهجرة والهرب، وضنّ عليه بالسكن والكفن:

لمْ يبقَ في الحقلِ الجميلْ
سوى الثعابين العتيقةْ
تنفثُ السمَّ الدفينْ
لمْ يبقَ غير قطائع الغربانْ
تنعي الموتَ في الزمنِ اللعينْ
لمْ يبقَ فوقَ شواطئ النهرِ الحزينْ سوى العناكبِ .. والطحالبِ .. والأنينْ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٢٠ +٢١)

وتزداد ثيمة (المقارنة) جلاءً حين تُبرز الموازنة حال (عم فرج) وحقله وأرضه؛ قبل سيطرة الفاسدين وبعدها، فلكم تبدلت ملامحه الطيبة وفارقه الأمن؛ وغادرته السكينة والدفء، وانتشرت جحافل المفسدين كأسراب الغربان تلتهم كل جميل، وكثعابين قاتلة تنفث الشرّ في كل أرجاء الوطن، أكلوا خيراته ولم يتركوا حتى الفتات لأبناء الوطن، نشروا الموت اللعين، لقد تبدل حال (عم فرج) وتحول معه الانتماء:

يسمعُ عن حكايا السارقينْ
سرقوه جسمًا .. ثم روحًا ..
ثم أصبحَ غنوةً خرساءْ ..
تحكي عن مآسي الراحلينْ
كم عاشَ يشربُ دمعهُ
المخلوط من ماءٍ وطينْ
قد كانَ آخرُ عهدهِ بالحلمِ
حينَ يجيئُ شهرُ الصومِ
بالتمرِ الملوثِ بالترابِ ..
يسدُّ جوعَ الصائمينْ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ٢٢ + ٢٣)

تسعى ثيمة (المقارنة) بأفكارها المتعاقبة، ودلالة هذه الأفكار المتواترة إلى جذب عدد لا متناهٍ من المعاني الجزئية الدالة؛ تُفسر عملية زوال انتماء (عم فرج) وأبناء الوطن، وذلك لتبدل حال الوطن ذاته، إذ اختفت البسمة من الشفاه، والبهجة من القلوب، وكثّف السارقون من نهبهم لقوت هذا الشعب الطيب، حتى صار طعام الفقراء تمرٌ ملوث بالطين والتراب، أخرسوا الشعب فما عاد يشدو أو يتغنى، وأدوا في بني الوطن الأحلام ودفنوا في الوقت ذاته قيمة الانتماء وانتزعوها من القلوب، فمن ذا سينتمي لوطنٍ لا يقدم له كسرة خبز تسد جوعه؟ أو سكن كريم يستقر فيه وتسكن روحه، ذلك الوطن الذي جعل من ضرورات الحياة أحلامًا لا ينالها الشباب ولا يستطيعونها، وهم بعد في مقتبل حياتهم.

ويتكرر في البناء الكلي للثيمة مرة بعد أخرى تصوير حاضر الوطن، ووجهه الكئيب الممعن في الاسوداد والسوء، في مسعى لا يخفى لوضع يدّ من يمسكون زمام الأمور في الوطن على أسباب زوال قيمة الانتماء وتلاشيها، وكأن الثيمة صرخة تحذير، تقرر في كل القصائد أن وحش الفقر قد تغول، وأن البسطاء يموتون قهرًا وجوعًا، اندثر كل جميل في الوطن، ولم يبق غير وجه القبح يطل علينا، وأن حال الوطن قد تغير وتحول معه حسّ الانتماء في نفوس الجميع:

لـمْ يبقَ غير الفقرِ يسترُ عورتـي والفقـرُ ملعـونٌ بكـلِ كتـابِ
سربُ النخيلِ على الشواطئ ينحني وتسيـلُ في فزعٍ دمـاءُ رقابِ
ويضيعُ عمـري في دروبِ مدينتي ما بين نارِ القهرِ .. والإرهابِ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٤٩)

لقد قُدمت من خلال ثيمة (المقارنة) صورٌ ممتدة تقوم على أفكار مهيمنة ودالة يُقارن بعضها ببعض، فتنتقل هذه الصور المقارِنة بين الماضي بازدهاره وجماله ورونقه، والحاضر بوحشته وقتامته، بين وطن كان يحمل كل أسباب الخير لبنيه، فانتموا إليه وأحبوه ولم يسعوا لمغادرته أو الهجرة منه يومًا ما، لأن الوطن احتضنهم وأعطاهم، رأوا من الوطن حنانًا ودفئًا، وبين بلدٍ آخر لا يعرفها الشاعر نفسه – وكذلك لا يعرفها بنوها، وطنٌ تحول فقتل الانتماء؛ وجعل من التحول في الحسّ الانتمائي ليس أمرًا طارئًا سرعان ما يزول، بل أخذت هذه التحولات للأسف صفة الديمومة والثبات، فأصبح الكل يهرب ويولي وجهه إلى غير الوطن، لتطرح الثيمة السؤال الخفي، وتضعه أمام القادة والمسؤولين عن هذا الوطن: كيف الانتماء لوطن هذا حاله؟ وطنٌ واقعه مظلم وغامض، هل ينمو نبت الولاء في النفوس في ظل هذا الحال الموحش للوطن؟

٢. ثيمة (اليأس)

يؤمن الشاعر بأن أخطر ما يهدد قيمة الانتماء في النفس تجاه الوطن؛ ألا يراعي الوطن (من يحكم الوطن) أحلام بنيه وآمالهم، إنه الطريق الأقصر لقتل هذه القيمة، يدرك جويدة هذا المعنى تمامًا فيبدأ في بثّ أفكارٍ فرعية وموضوعات جزئية دالة، تقيم في مجملها صورًا وسياقات تتشكل في النهاية في

ثيمة مهيمنة هي ثيمة (اليأس)؛ ليرصد عبرها التحولات التي طرأت على الحسّ الانتمائي في وجدان شعب مصر، بسبب العملية الممنهجة لقتل أحلام البسطاء، وخنق طموح الشباب.

تبدأ ثيمة (اليأس) في الظهور في مستوى الألفاظ المفردة، حين تستقطب ألفاظًا تتحمل في دلالاتها معاني الزيف والوهم، وشيوع الظلام وحالات التيه والحيرة، مع تسلط مشاعر اليأس وانطفاء الروح، ولقد تكررت هذه الألفاظ كثيرًا، مثل: (تساوم – الأحلام – تجمدت – غربة – يضل – يستكين – سراب – اليأس – حيارى – خائفين – الظلام – تلال – غاب – طيفًا – غامض – غفلة – أوهام – زيف– خادع – كذاب – يضيع – شبحًا – يخبو – سخط – يائس – انطفاء).

تدور دلالات الألفاظ المفردة في هذه الثيمة – بادئة التشكُل – في مدار معنوي واحد، حين تغلب مشاعر اليأس وتسود روح الإحباط، مع بيان زيف الواقع وسيطرة رؤى السراب، فيتوارى الحلم ويغيب، لأن أرض الوطن تساوم على هذه الأحلام، وتتجمد الآمال والطموحات مع غربة بنيها، واستكانت الأحلام تحت ظلال متكاثفة من الزيف والخداع والكذب، لتكون النتيجة الحتمية انتشار السخط والغموض في غفلة من الوطن عن أولاده، وتوظف ثيمة (اليأس) المهيمنة كل هذه الدلالات المتواترة لتلك الألفاظ لتفسر تلاشي مشاعر الولاء والانتماء عند الشباب؛ وأنه نتاج طبيعي لقتل أحلامهم ووأدها، حتى لو كانت هذه الأحلام ما هي إلا حقوق بسيطة لهم، بل أقل ما يمكن أن يتملكه الإنسان في وطنه.

وتزداد ثيمة (اليأس) وضوحًا في مستوى التراكيب، إذ قدم المعجم الشعري في سبيل هيمنة هذه الثيمة مجموعة من التراكيب مكثفة الدلالة، والتي أتت في مجملها معبرة عن أفكار فرعية دالة، وموضوعات جزئية محملة برائحة الموت للروح والجسد بعد موت الأحلام وتبخرها، وتشي الدلالة المتواترة لتلك التراكيب بانعدام الأمان من نفوس بني الوطن بعدما توارت أحلامهم، وتلاشت آمالهم، ومن هذه التراكيب: (تلال رماد – حبات ندى – حلم ضائع – طير ضائع – نجم شارد – طير شاد – ضاق الزمان – الأفق يصغر – حشود الموت – العمر يبكي – مرايا الموت – النبض يخبو – رياح الشك – كنز الحالمين – سأم السنين – وجهه المعجون – غنوة خرساء – يشرب دمعه – القلوب المستكينة – صيحات حزينة – خريف العمر – انتحر الأمان – قام الموت – ضوء خابٍ – أطلال أحلام – يخبو ضياء الشمس – نزيف العمر – انطفاء الحلم).

لقد تبلورت ثيمة (اليأس) من خلال التكرار المتتابع للتراكيب السابقة وإيراد أفكار فرعية متتابعة ومتصلة، فأظهرت حالة التلاشي والانطفاء لأحلام الشباب خاصة، وأكدت على ذلك كثيرًا بتكرار كلمتي (انطفاء ويخبو)، وتصوير نزيف العمر وتسربه بعدما تهاوت الأحلام، حتى ضوء الشمس يخبو، ونبض القلب يتلاشى وتنسحب الحياة بعد أن صارت الأحلام كتلال رماد، تلالٌ تذروها رياح الواقع الكالح، وتصبح الأحلام في نفوس الشباب كالأطلال المهدمة في خريف العمر المنقضي، وكان نتاج ذلك كله أن هبت رياح الشك على عموم الوطن، واعترى بنيه سأمة من وطنهم وخرست أغانيهم المبهجة، شربوا

الدموع واستكانت القلوب، أبرز تكرار هذه الحالة السابقة ثيمة (اليأس) وجذّر من هيمنتها، تأكيدًا على السبب الرئيس؛ وهو قتل الفاسدين والمستبدين لأحلام بني الوطن.

استطاعت محورية هذه الثيمة وما تتحمله التراكيب التي شكلت بناءها من دلالة؛ أن تقدم لعقل المتلقي سببًا منطقيًا لذوبان قيمة الانتماء داخل وجدان الشعب، وأن انعدام حالة الانتماء يرجع إلى شيوع حالة الإحباط واليأس التي أحاطت عموم شباب الوطن، وأن عملية قتل الإنسان ببطء لا تستدعي أكثر من خنق أمله وطموحه، وهذا هو عين الأمر الذي فعله الوطن مع أولاده، أوحت بذلك ألفاظ الثيمة والتراكيب المُشكلة لها حين حُملت بمثل هذه الدلالات المتواترة.

وتبسط ثيمة (اليأس) كامل هيمنتها عبر تشكُل صورٍ متعددة في السياقات المتصلة بتضام الألفاظ والتراكيب، لتطرح هيمنة ثيمة (اليأس) على قصائد الديوان سؤالاً مهمًا: هل يمكن الانتماء إلى وطن انحصرت وظيفته في خنق طموح شبابه؟ وقتل الأحلام في نفوس مواطنيه؟ إن أي وطن يفعل ذلك بأولاده وشبابه هو وطن يسعى لقتل الانتماء عن عمد، الأمر الذي أكدته أفكار الثيمة الفرعية وتكرارها في قصائد الديوان الثلاث عبر صور تُفصّل حجم التغير في تعاطي الوطن مع أحلام الشباب، ومن ثم تلاشت قيمة الانتماء والولاء لديهم، فولوا وجوههم نحو بلاد أخرى تحترم كرامتهم وتقدر إنسانيتهم، وتنمي قدراتهم فلا تقف عند حد، بلادٌ تدعم أحلامهم وتغذيها، لذلك كان النجاح حليفهم والتميز قرينهم في تلك البلاد.

وتعود هيمنة هذه الثيمة بالتحديد على الديوان، لقناعة جويدة الأكيدة بأن هذه القضية من أهم الأسباب التي تدفع الشباب إلى الهجرة، بعدما خبت الأحلام داخلهم وانطفأت جذوتها، وضعف حسّ الانتماء داخلهم، يقول في مقال (شباب مصر بين الهجرة والانتماء) مؤكدًا رؤيته: "هناك ظاهرة جديدة تجذب شبابنا الآن، وهي الهجرة للخارج، ومن بين هذه الفرق المهاجرة عناصر مميزة في قدراتها وتخصصاتها، مثل خبراء التكنولوجيا والأطباء ورجال الأعمال، وأصحاب الخبرات، وقد حقق هؤلاء مكانة مرموقة من التفوق والتميز حين أتيحت لهم فرص إظهار قدراتهم ... وهذه القضية على درجة من الأهمية، لماذا يتفوق شبابنا خارج حدود الوطن"(٢٧).

ويختتم جويدة الفقرة السابقة بسؤال يجيب عنه في ديوانه، لماذا يتفوق شبابنا خارج حدود الوطن؟ لأن الوطن – بما فيه من منتفعين وفاسدين – يقتل الأحلام ويعرقلها ويضيق عليها الخناق حتى تموت، لا يدعم طموح الشباب أو يغذي أملهم، إن الشاعر يحمل على كاهله مسؤولية هؤلاء الشباب، ويحس تجاههم بحملٍ ثقيل، بعد أن استشعر تلاشي الانتماء في نفوسهم، وزوال الولاء من وجدانهم، لذلك نراه يكرر في ذات المقال السابق: "لا بد أن نعترف أن شبابنا في أزمة، وأن المجتمع شريك في ذلك، لأنه أهدر قيمة التميز، وأسقط منظومة تكافؤ الفرص، وأعطى الحقوق لغير أصحابها".

لذلك سنجد في القصائد الثلاث العودة مرارًا إلى ثيمة قتل الأحلام وانطفائها، وعرقلة الطموحات في هذا الوطن المثخن بجراح الفساد وخراب الذمم، في إشارة قوية إلى سبب رئيس ومهم يبرر حالة ضعف الانتماء إن لم يكن انعدامها، والخشية من أن تتحول حالة فقدان الانتماء هذه إلى وضع ثابت ودائم تنشأ عليه الأجيال القادمة.

وتطالعنا هذا الثيمة في أول قصيدة من قصائد الديوان، بل وفي أول أبياتها:

في كلِ نجـمٍ ضلَّ حلمٌ ضائـعٌ وسحابـةٌ لبستْ ثـوبَ حـدادِ

وعلى المدى أسابُ طيرٍ راحلٍ نسي الغناءَ فصار سربَ جرادِ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص١٠)

وكما أن النجوم لا منتهى لعددها في الكون الفسيح؛ فكذلك الأحلام الضائعة والمتبخرة في أرجاء هذا الوطن، إن تحول الرمز من إشارة النجم والطير والسحابة للبهجة والفرحة إلى رمز للإحباط واليأس، يُمكِّن لسيطرة ثيمة (اليأس) من خلال تحميل دلالاتها المتواترة الكثير من المرارة والحزن المكتوم، وتحسر على تهاوي الأحلام المبنية، والطموحات التي تاهت في مسارب هذا الوطن ودهاليزه، وتحول هذه الأحلام من آمال واعدة قابلة للتحقق من أجل خير هذا الوطن، إلى أحلام مذبوحة نهبت مع خيرات الوطن على يدّ أسراب الجراد، وبذلك ينطفأ كل بصيص أملٍ أمام الشاعر:

ما عادَ فيها ضوءُ نجمٍ شاردٍ ما عادَ فيها صوتُ طيرٍ شادِ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص١٢)

وتمظهرت هيمنة ثيمة (اليأس) كذلك عبر تقديم موضوعات جزئية دالة تصور تحول هذه الأحلام إلى موت منتشر غير منقطع، وتمثلت ذروة هذا التشكيل للثيمة حين فصّل الشاعر لحظات غرق الشباب المهاجرين، الساعين وراء حلم ستبتلعه الأمواج كما ابتلعتهم، وتصوير لحظة تحول الحلم إلى كابوس وحالة يقظة صادمة، في مشهد كفيل بقتل أي ذرة انتماء في النفوس إلى الأبد، وكيف يشعر الإنسان بالانتماء أو الولاء لوطن غفل عن أولاده بهذا الشكل، وبخل عليهم بكل شيء حتى بأمتار قليلة تكون قبرًا لهم، بعدما دفعهم دفعًا إلى الخروج والهجرة مرغمين:

الأفقُ يصغُرُ.. والسماءُ كئيبةٌ خلفَ الغيومِ أرى جبالَ سوادِ

تتلاطمُ الأمواجُ فوق رؤوسنا والريحُ تلقي للصخورِ عتادي

نامتْ على الفقِ البعيدِ ملامحٌ وتجمـدتْ بينَ الصقيـعِ أيـادِ

البحرُ لم يرحـمْ براءةَ عمرنا تتزاحمُ الأجسادُ .. في الأجسادِ

حتى الشهادةُ راوغتني لحظةً واستيقظت فجرًا أضاءَ فؤادي

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص١٣ + ١٤)

استيقظ الشباب المهاجر من حلمه الجميل فجرًا على كابوس مفزع، وحقيقة مرعبة صدمتهم، عرفوا أنه لا مكان لهم في هذا العالم، بعد أن لفظهم الوطن وخرجوا منه رغم أنوفهم، لم يرحمهم البحر كذلك بل دفنهم في أعماق مجاهله، لقد عاش هؤلاء الشباب فترة من عمرهم على حلم جميل، فأيقظهم الوطن وهو يقتل تلك الأحلام، رأوا عند موتهم السماء كئيبة والأفق المتسع يضيق بهم، ما عادوا يرون سوى سواد الليالي والأيام، تجمدت أيديهم كما أحلامهم، وفي لحظات غرقهم تزاحمت أجسادهم وتلاصقت طلبًا للنجاة وهيهات ذلك.

بُنيت ثيمة (اليأس) وهيمن وجودها بمثل هذه اللوحة السابقة – والمحملة بكل أسى الدنيا وعذابها، وتكررت مثل هذه اللوحات كثيرًا، ليجيب تغلغل هذه الثيمة بكل موضوعاتها الجزئية الدالة، وأفكارها الفرعية عن السؤال الممتد: لم اختفت قيمة الانتماء لدى شباب هذا الوطن؟ من ذا يظل وفيًا ومنتميًا لوطنٍ هذا حال أبنائه، إننا في خطر محدق، حين نلخص حال الوطن في شباب يموتون، وأحلام تُخنق وطموحات تذوي، وسيكون نتاج كل ذلك حالة جديدة تطرأ على المجتمع المصري يتأصل فيها فقدان الانتماء، بل وتحوله من الوطن الأم إلى أوطان بديلة.

وكانت نهاية هذا الموت الموحش، والغرق المرعب لزهرة شباب الوطن أن فقد الشاعر – في لحظة من لحظات يأسه – حسّه الانتمائي لهذا الوطن الغريب، فصرخ بكل عزيمته:

وصرختُ .. والكلماتُ تهربُ من فمي هذي بلادٌ .. لمْ تعدْ كبلادي

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص١٦)

وطال التغيير كذلك (عم فرج)، فهيمنت ثيمة (اليأس) على القصيدة التي تصور حاله، وترسم مقتل حلمه وخنق أمله البسيط، لقد أصبح غاية مُنى ذلك الرجل البسيط أن يعمل بضع سنين في بلاد النفط، حيث المال الوفير الذي قد يحقق حاجاته وأساسيات حياته، تغيرت وجهة (عم فرج) ومثله كثير من الحالمين من أبناء هذا الشعب، تبدلت الوجهة من الحقل إلى النفط، ومن الوطن إلى الغربة، من الفقر المحيط إلى أحلام الثراء السريع، ولكن الوطن استكثر هذا الحلم على (عم فرج)، ليموت الرجل وأمثاله غارقًا بيدِ الإهمال والفساد:

(عمي فرج)..
يومًا تقلبَ فوقَ ظهرِ الحزنْ ..
أخرجَ صفحةً صفراءَ
إعلانًا بطولِ الأرضِ
يطلبُ في بلادِ (النفطْ)
بعضَ العاملينْ
همسَ الحزينُ وقالَ في ألمٍ:

أسافرُ .. كيفَ يا الله

أحتملُ البعادَ عن البنيةِ .. والبنين

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٢٣ + ٢٤)

ألجأ الوطن (عم فرج) – وما أكثر فرج في هذا الوطن – إلى حلم الخروج، حيث المال وقبلهُ الكرامة التي تقدر إنسانيته؛ ويفتقد كليهما في وطنه، وبالرغم من ذلك يصوره الشاعر آسفًا على ذلك الخروج والابتعاد، فلكم يعز على (عم فرج) أن يصبح حلمه هو ترك الوطن، لتقرر هيمنة ثيمة (اليأس) هنا معنى عميقًا: أنه إذا فُقد الانتماء تبدلت كل الموازين وانقلبت القيم، وتغيرت كل الأحلام، لقد كان حلم (عم فرج) منحصرًا في الوطن، حيث أرضه وحقله، يفرح إذا رأى السنابل زاهية، ينتشي إذا طالع الزرع الأخضر، اختلط تراب هذا الوطن بدمه وذرات كيانه. الآن؛ وبعد أن سرق الفاسدون قوته، وانتشرت الأفاعي في الحقول تبثُّ سمها، وتسرق كل جميل وتقتل السرور، تحول حلمه وتبدل إلى وجهة أخرى، نتيجة لضعف الانتماء في قلبه تجاه جحود هذا الوطن.

وتتكئ هيمنة ثيمة (اليأس) على إبراز أفكار فرعية دالة وعميقة، مثلما تقيم مفارقة قوية بين ما يحسه الرجل تجاه وطنه وما يقابله به الوطن في الوقت ذاته، فلقد سافر (عم فرج) إلى بلاد النفط، ولكن الحنين لوطنه يعاوده، تنتابه الأحلام بالرجوع إلى الوطن لعل الوطن يحتضنه، ويقدم له أبسط حقوقه الإنسانية، إن (عم فرج) يهمس باسم وطنه سرًا وجهرًا:

(عمي فرج)..

قد حانَ ميعادُ الرجوعِ إلى الوطنْ

وطنْ .. وطنْ

عدنا إلى حضنِ الوطنْ

الكلُ يصرخُ فوقَ أضواء السفينةِ

كلما اقتربتْ خيوطُ الضوءْ

عاودنا الشجنْ

وجهُ الوطنْ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٢٨ + ٢٩)

ويأبى الوطن أن يترك روح الانتماء تكبر وتنمو، أو تتأصل في نفوس مواطنيه، إنه وطنٌ يتفنن في إطفاء شعلة هذه الجذوة المتقدة، لقد قتل الوطن هذا الحلم بالرجوع في نفس (عم فرج) لا وطن نرجع إليه إذاً لا انتماء، كيف الانتماء وقد انتشرت رائحة الموت غرقًا، موتٌ على يدِّ الفساد والإهمال الذي تغلغل، لقد استكثر الوطن على (عم فرج) – وكل فرج – أن يعود إلى وطنه، إن هذا البلد يطرد ولا يقبل

العائدين، فعلى (عم فرج) وعلى كل شاب الخروج فقط، وليعلم بأن الموت يتهدده إذا حاول الخروج، وكذلك سيكون مصيره إذا حاول العودة، ليصبح البحر هو القبر، وبطون الأسماك هي الكفن.

تجيب هذه الهيمنة الملحوظة لثيمة (اليأس) – وبهذه المشاهد المتتابعة – عن السؤال المستمر: كيف يتحقق الانتماء لوطن يطرد أبناءه فيموتون غرقًا وهم يهاجرون، ويقضون نحبهم غرقًا كذلك وهو عائدون بالفساد وانعدام الضمائر.

حتى حلم العودة للوطن، لن يُحققه الوطن:

(عمي فرج) ..
بينَ الضحايا كانَ يُغمضُ عينيه
والموجُ يحفرُ قبرهُ بينَ الشعابْ
وعلى يديهِ تُطلُ مسبحةٌ .. ويهمسُ في عتابْ
الآن يا وطني أعودُ إليكْ
توصدُ في عيوني كلَ بابْ
لمَ ضقتَ يا وطني بنا؟
لمَ ضقتَ يا وطني بنا؟
قدْ كانَ حُلمي
أن يزولَ الهمُّ عني
عندَ بابكْ
قدْ كانَ حُلمي
أن أرى قبري
على أعتابكْ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٣٣ + ٣٤)

إن تتابع الأفكار المهيمنة – والمؤصلة – لثيمة (اليأس) وتكرارها، وصياغتها في مشاهد مأساوية يقدم سببًا رئيسًا للتحول الملحوظ في الانتماء عند عموم الشعب، حين يجعل أقصى طموحات (عم فرج) وذروة أمانيه هو الموت على أعتاب الوطن، أو أن يضمه الوطن في ترابه ولو في صورة قبر، لذا يتكرر التساؤل: لم ضقت يا وطني بنا؟ وأي وطن هذا الذي يضيق بأبنائه، ويقتل أحلام شبابه ويوصد كل الأبواب في وجوههم؛ سواءٌ أبواب الخروج أو أبواب العودة، ما مستوى الانتماء لوطن يزيد الهمّ على شعبه وليس سببًا في إزاحة الكرب والغم عنه. إن تقديم الصور المختلفة ببعدها المُفجع يُشكل في المجمل هيمنة بارزة لثيمة (اليأس)، الأمر الذي يبني في ذهن المتلقي أسبابًا منطقية تفسر انحدار مستوى الانتماء في

النفوس حتى قارب الانعدام، وكفى ببراثن الموت للأبدان والأرواح سببًا مقنعًا، أو قتل الأحلام وعرقلة الطموح كذلك.

وتفيض السياقات المُشيدة لهيمنة الثيمة بالأسى في القصيدة الأخيرة (هذا عتاب الحبِ .. للأحبابِ) كذلك، حين يكثر إيراد الموضوعات ذات الأفكار الفرعية المعبرة عن الأحلام الموءودة، وتلاشى الطموحات وتبخرها في سماء الوطن الذي يقهر بنيه، واضطراب رحلة حياة الشاعر، ومع اضطرابها فقد بوصلة الانتماء:

ما عدتُ أعرفُ أينَ تهدأُ رحلتي وبـأي أرضٍ تستـريحُ ركــابي
غابتْ وجوهٌ .. كيفَ أخفتْ سرها هربَ السؤالُ .. وعزَّ فيه جوابي
وأيـنَ أحـلامٌ تـوراى سحـرُها وبـريقُ عمرٍ صـارَ طيفَ سرابِ
شاخـتْ ليـالي العمرِ مني فجأةً فــي زيفِ حُلـمٍ خـادعٍ كـذابِ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٤٧ +٤٨)

تبلغ عملية الهيمنة للثيمة ذروتها في هذه الأفكار الفرعية السابقة، إذ تسود مشاعر الندم والتحسر، مع التحير والشتات، على الإسراف في أحلام كاذبة خادعة، ووعود نفس لن تتحقق، فقد ذهبت سنون العمر وتفلتت من بين يدي الشاعر، وصارت الأحلام كطيف سراب مخاتل خداع، ولم يعد الشاعر ينتظر جوابًا لأسئلته كما لم يرتجي تحقُّقًا لأمانيه وآماله، استطاعت ثيمة (اليأس) عبر الصورة السابقة بسط أقصى مشاعر اليأس حين يفقد الإنسان أغلى ما يملك: الأمل والحلم، عندئذٍ تنطفأ شعلة الترقب في الغد، ويصبح الموت والحياة سواءٌ في نظر الإنسان اليائس محطم الآمال.

إن السؤال الذي تهدف ثيمة (اليأس) إلى طرحه من هذه الهيمنة الفكرية والصورية هو: كيف ليائس تحطمت أحلامه بفعل الوطن أن ينتمي إليه؟ فمع توراي سحر أحلام الشباب، وضياع العمر وراء السراب، لا يصبح هناك مجالٌ للحديث عن الانتماء، لا بد أن تطرأ تغيرات على درجة هذا الانتماء، بل لن نبالغ إذا قلنا بأن الانتماء قد يموت عندئذٍ.

أكدت الثيمة بتكرارها المتعاقب غير المنقطع – وفي القصيدة الأخيرة كذلك – على هذا السبب، القاتل لروح الانتماء في الوجدان، وتصبح هيمنة ثيمة (اليأس) معادلة لفكرة أساسية: أن قتل الطموح وذبح الأحلام هي الماء البارد الذي يطفئ جذوة الانتماء المتقدة، فما يرغب فيه المواطن لا يتم، وما يتمناه لا يتحقق، مواطن متشتتٌ بين وطن لا يراعي حبه له، وآمال ينشد تحقيقها:

مـا كـانَ ظني أن تكـونَ نهـــايتي في آخرِ المشوارِ دمـعُ عتــابِ
ويضيعُ عمـري فـي دروبِ مدينتي ما بينَ نارِ القهرِ .. والإرهـــابِ
رسمـوكَ حُلمًا .. ثمَ مـاتوا وحشةً ما بينَ ظلمِ الأهلِ .. والأصحابِ
يخبو ضياءُ الشمسِ..يصغرُ بيننا ويصيرُ في عيني .. كعودُ ثقابِ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٥٠)

بسطت الثيمة – إذاً – حضورها النافذ بشكل كامل في الأبيات السابقة، حين سيطر الإحباط بشكلٍ تامٍ على الشاعر، وبحسبانه فردًا فاعلاً ومهمًا في نسيج هذا الشعب؛ فإنه يبعث برسالة ذات دلالة مكثفة: أن الإحباطات التي يُمنى بها الشباب مرة تلو أخرى؛ ستؤدي إلى نزيف لا ينقطع لقيمة الانتماء، وأن عملية المحو الممنهجة للأحلام ستؤدي إلى انفجار كبير، ناتج عن عدم ولاء او انتماء هذه الأجيال للوطن، وأن الإطفاء المتعمد لنور الأمل سيعود بالظلام الدامس والخراب المدقع على عموم الوطن، ولن يستثنى منه أحد حينها.

وظهرت ثيمة (اليأس) ثانية في آخر بيتين في الديوان بشكلٍ مغاير حين تناولت هذا السبب، مع التأكيد على أن الأحلام تنطفأ ويخبو نورها، والأرواح تُقتل بوأد أحلامها:

رغمَ انطفاء الحُلـم بينَ عيوننا سيعودُ فجركِ بعدَ طولِ غيابِ

فلترحمي ضعفي .. وقلةَ حيلتي هـذا عتابُ الحب .. للأحبابِ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٥١)

لتظل هيمنة ثيمة (اليأس) غير مكتملة على المطلق، إذ لم تخمد روح الانتماء عند الشاعر بشكل كلي، إنه ما يزال يناشد وطنه انطلاقًا من عشقه له، فيعاتبه عتاب المحبين، بالرغم من انطفاء حلمه وتواريه على يدِّ هذا الوطن، ولا يزال الأمل يحدو الشاعر في أن يبادر الوطن فينقذ ما يمكن إنقاذه من شباب هذا الوطن، من خلال تغذية أحلامه ورعايتها، والسعي في تحقيق آماله وطموحاته، عند ذلك تنمو شجرة الانتماء في نفس الجيل الجديد وتتجذر، وبذلك تعود هذه القيمة مزهرة في وجدان الشعب من جديد.

٣. ثيمة (الفساد)

تواجهنا ثيمة رئيسية أخرى استطاعت فرض وجودها الطاغي في الديوان، فقد مثلت ثيمة (الفساد) محورًا مركزيًا استقطب الكثير من الكلمات والألفاظ التي تحملت دلالاتها المتواترة معانٍ تنشع بالغضب ومعاني الثورة، لنلاحظ أن هذه الألفاظ – وكذلك التراكيب الدالة على معاني الفساد أو تشير إلى المفسدين – هي الأكثر ورودًا في الديوان، وتصبح هذه الثيمة بتجليها المتنامي تنبيهًا قويًا إلى أن حسّ الانتماء يتناسب عكسيًا مع تعاظم نفوذ المفسدين، وشيوع حالة الخراب والدمار على أيدي المستبدين المفسدين في كيان هذا الوطن.

فمن هذه الألفاظ التي استدعتها ثيمة (الفساد) وتتحمل دلالتها معاني الخراب، والدمار والإفساد، وكذلك معاني الاستبداد والقهر: (الجلاد – تستبيح – مزاد – تاجرت – استباح – صراخ – عصابة – القهر – التدليس – الأوغاد – دموع – لظى – استعباد – تتلاطم – راوغتني – باعني – غفلة – الإفساد – حمى – الأسياد – تصرخ – اللص – القواد – الإرهاب – مُراب – النصاب – الثعبين – غربان – فئران – الطحالب – العناكب – السارقين – المعتدين – يسرقها – جائعين – الظالمين – الغاصبين –

مسجونًا حيتان –التخاذل – الهوان – ثورة – محنة – مقامر – كذاب – مرتاب – الأغراب – الأفاق – الطاغية – ذئب – غدر).

يبدو جليًا أن الثيمة قد صنعت بؤر جذبٍ لكلمات معينة، فنرى عددًا كبيرًا من ألفاظٍ تفيد كل معاني الخسة، ودلالة الفساد وممارسة القهر والظلم، والغدر والطغيان، تعبر عن حال بغيض وصل إليه الوطن على يدِّ العصابة المخربة التي نهبت مقدراته، واستباحت كل مقدس فيه، في مسعى ملحوظ– من خلال هذه الأفكار الفرعية الدالة – لإبراز سبب منطقي آخر يُفسر حالة انعدام الانتماء التي تلبست الشباب، فمن ذا يدين بالانتماء تجاه وطن تُنهب خيراته بشكل ممنهج ومنظم؟ وطن يتحكم فيه حفنة من الأوغاد الذين يقمعون كل صوت، ويتركون الشعب جائعًا لا يجد ما يسد رمقه.

وتراوحت دلالات ثيمة (اليأس) بين هذه المعاني كذلك في مستوى التراكيب، فقد وظفت تراكيب كثيرة تدور في فلك الثيمة واستقطبت في هذا الحقل العديد من التراكيب المميزة؛ التي تتحمل شحنات دلالية ذات رسائل مباشرة وقوية، ومن جهة أخرى ترمز إلى حالة مزرية وصلت إليها أحوال البلاد والعباد على حدٍّ سواء، فمن هذه التراكيب: (سرب جراد – يضاجع أرضها – حملت سفاحًا – نزيف عيوننا – الأحزان ساخرة – دموع بلادي – صراخ أرض – لظى استعباد – براءة عمرنا – تتزاحم الأجساد – وطنب خيل – صورة الجلاد – يبكي الوادي – صمت المتعبين – دماء الكادحين – الفئران تسكر – الثعابين العتيقة – السم الدفين – حكايا السارقين – وجه العدل – نذير خراب – سيف عاجز – قصف رقاب – ذئب حاقد).

تضافرت التراكيب السابقة لتقيم كيانًا مهيمنًا لثيمة (الفساد) على امتداد الديوان؛ وتجلت الثيمة من خلالها لتصف حالة من تلاشي روح الانتماء وتبرر التحول الطارئ عليها؛ وتقنع المتلقي بأن هذا الانعدام نتيجة حتمية لما سبق من أسباب، حيث اجتمعت كل دلالات الخراب وضياع العدالة، ونهب هذه العصابة لخيرات الوطن، مع استعبادها لبنيه من خلال جلاد وطاغية، ومقامر نصاب.

ويتنامى حضور الثيمة بنسج هذه التراكيب المائزة فتُحاك صورٌ لا تسر العدو قبل الصديق عن حال الوطن، لذلك سيكون من الطبيعي أن يصل الشباب إلى ما نشاهده من مظاهر ضعف الانتماء وانعدامه كلية؛ في ظل حكم هؤلاء القتلة المفسدين، والسارقين لقوات الشعب، الذين أبكوا أرضهم فأسالوا دمع البلاد قبل دمع العيون.

لا ينفك حضور ثيمة (الفساد) عن التجلي أيضًا في مستوى الصور الشعرية في ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟)، فتمثل اللوحة العارضة لهذا السبب المهم في تذبذب الارتباط بالوطن، ومدى تأثيره المباشر في تلاشي روح الانتماء والولاء لدى الشعب، فقد عجَّت قصائد الديوان الثلاث بالصور ذات الأفكار الفرعية المكثفة التي تحيل انطفاء وهج روح الانتماء إلى هذا العامل، حيث تعاظم نفوذ المجرمين وتغلغلت عصبة الإفساد في كل ركن من أرجاء الوطن، فنهبوا وسرقوا، وتاجروا بكل شيء، باعوا كل ما وقع تحت أيديهم،

واستأثروا بفرص الشباب لأنفسهم وأغلقوا في وجه الشعب كل باب أمل، وبأفعالهم هذه أقاموا جدارًا سميكًا يفصل بين الوطن وأبنائه، وكانوا لذلك السبب الأول في انفصام العرى والروابط بين الشباب وبلدهم. وإليهم يرجع السبب في اندثار قيمة الانتماء حين نهبوا الخيرات، وكمموا الأفواه، وسدوا كل باب يؤدي إلى الحرية والكرامة، وأطفأوا ضوء الأحلام وجذوة الأمل، وبما أقاموه من طبقية مقيتة قسمت أبناء الشعب الواحد، وجعلت هنالك تفاوتًا هائلاً وبغيضًا بين هذه الطبقات، فأصبح الفقر مدقعًا والغنى فاحشًا.

لذلك كله؛ سنرى الثيمة – (الفساد) – على امتداد الديوان تستدعي صورًا متتالية تصف بها حال الوطن في ظل حكم عاصبة الفساد، وكيف تركوه مهلهلاً محطمًا؛ بعدما استحلبوا كل خير فيه، وهم مع ذلك يتغنون بالوطنية والشرف، وهم أبعد ما يكونون عنها:

هـذي بـلادٌ تاجرتْ في عرضها وتفـرقتْ شيـعًا بكلِ مــزادِ
فــي كلِ ركنِ من ربــوعِ بلادي تبـدو أمامي صورةُ الجـلادِ
لمحوه من زمنٍ يُضاجعُ أرضها حملتْ سفاحًا فاستباحَ الوادي
وعصـابةٌ سرقتْ نزيفَ عيوننا بالقهرِ والتدليسِ .. والأحقادِ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص١١)

تكررت كلمة (عصابة) في القصائد أكثر من ست مرات، ليجذر هذا الاستدعاء المستمر الثيمة السابقة، ويشير من جانب آخر إلى تكتل الفساد في الوطن على شكل تجمعات منظمة لممارسة عمليات النهب والتدمير، تسرق من العيون بريقها قهرًا وزيفًا، وكأن نفوس هذه العصابة حُشيت حقدًا وغلاً تجاه الوطن وأولاده، إن الشاعر – بوصفه رمزًا لأبناء الوطن – حين يفتح عينيه كل يوم لا يرى سوى صورة الجلاد، يرى بيع عرض بلاده وشرفها من مدعي الشرف والوطنية، عرضوا كل شيء في الوطن للبيع في المزاد.

وتستقطب ثيمة (الفساد) في فرض هيمنتها على القصائد مدارات فكرية عديدة، تدور جميعها في فلك متقارب: كيف تمكن الفساد وانتشر بعد أن نشر الجلاد زبانيته وصغار المفسدين في كل شبر من أرض الوطن، فاستحلوا نهب كل شيء واستساغوا اللقم الحرام، وانعدمت مع هذه الفعال كل فرصة للشباب، وسقط ميزان العدالة، وكان الناتج الأبرز لكل ما سبق غياب تامٌ لروح الانتماء لدى المواطنين، فتوجهت الأبصار إلى بلاد أخرى حيث تتحقق موازين العدالة، وتحترم كرامة الإنسان بحسبانها أغلى ما في الحياة الإنسانية.

والغريب – بالرغم السيطرة الملحوظة لهذه الثيمة – أن الشاعر / بني الوطن لا يزالون على حبهم للبلد، ويظل التمسك بأهداب عشقهم لها وانتمائهم لترابها ملحوظًا؛ مع مقابلة الوطن لذلك الحب والعشق بالصدّ والهجران، فلا تقدر البلاد انتماؤهم هذا، بل تهب نفسها في الوقت ذاته للمجرمين، الذين لا يراعون فيها إلاً ولا ذمة:

أحببتُـها حتى الثمـالةَ بينما باعـتْ صباها الغضّ للأوغادِ

لمْ يبقَ منها غيرُ صبحٍ كاذبٍ وصرخُ أرضٍ في لظى استعبادِ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص١٢)

تواجهنا ثيمة (الفساد) عبر بؤرها البنائية بمفارقة تكررت كثيرًا في الديوان، عندما تبسط مشاعر إنسان محب لوطنه ويبذل من أجله كل غالٍ ونفيس؛ ونرى الوطن يقابل كل هذه التضحية وهذا الحب بالصدِّ والنفور؟ يود الوطني الشريف لو يشتري تراب وطنه بمآقي عينيه، والوطن يأبى ذلك ويبيع نفسه رخيصة للأوغاد السارقين، هذا الوطن الذي يُسلم نفسه إلى لظى العبودية ونير الاستنزاف والسرقة الممنهجة، ويرزح تحت وطأة عصابة لا تعرف من الوطن سوى اسمه، فتعيث فسادًا في كل شبرٍ منه، يعدون أنفسهم سادة وبقية الشعب عبيدًا لهم، وأنهم الأساس والباقون هوامش لا متن، يعتقدون أن بني الوطن قد وُجدوا ليخدموهم ويحققوا مآربهم وطموحاتهم. هذه الطغمة المفسدة نزعت الجمال من الوطن، وتسببت بشكلٍ مباشر في نزع روح الانتماء تجاه البلد من وجدان الشعب بكل طوائفه وفئاته.

وتستدعي ثيمة (الفساد) صورًا متضامة تفصّل من خلالها انقلاب حال هذا الوطن وتبدل إلى الأسوأ منذ اعتلت سدة الحكم فيه عصبة الإفساد، أصبح وطنًا غريبًا عن الشاعر (وعموم أبناء الوطن)، حين باع أبناءه برخيص الأثمان، وأصبح له سادة يستذلونه صباح مساء وهو لا يعترض أو يتضجر، بل يبعد الشرفاء ويُقصيهم؛ تنكيلاً وموتًا، أو سجنًا وطردًا وتشريدًا:

وطـنٌ بخيلٌ باعني فـي غفلـةٍ حين اشترتهُ عصبـةُ الإفسـادِ

شاهدتْ من خلفِ الحدودِ مواكبًا للجوعِ تصرخُ في حمى الأسيادِ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص١٤)

تزداد هيمنة الثيمة وطغيان حضورها بإقامة مقابلة بين عمليتي بيع وشراء، باع الوطن الشرفاء والمخلصين من بنيه بثمن زهيد، واشترت عصابة الإفساد في الوقت ذاته الوطن بلا ثمن يذكر كذلك، يبيع الوطن أولاده وأرضه لمستبدين مخربين؛ كل همهم تحقيق مصالحهم على حساب وطن كامل، فانتشرت تبعًا لذلك جموع الجائعين في ظل سيادة وهيمنة لهؤلاء الأسياد الجدد.

وتضعنا الثيمة بأفكارها الفرعية، والدلالات المتواترة أمام منهجية متعمدة في التخريب والإفساد، والقهر والاستبداد، مؤصلة لسببٍ رئيس آخر يفسر اندثار روح الانتماء وتلاشيها عند بني الوطن، بأن خيرات الوطن إذا استأثر بها فريق على حساب آخر ينقسم المجتمع شيعًا متناحرة، وينعدم فيه الانتماء والولاء، إذ لا انتماء لجائع ولا عارٍ، ولا ولاء لمقهور مستباح، ومن عموم استقطابات الثيمة ورصدها لما يحدث في الوطن، نقتنع أن ضعف الانتماء هو النتيجة المنتظرة والمتوقعة، والتي انتهت بالمحاولات غير المنقطعة لهجرة الشباب خارج الوطن، حتى لو كان ذلك يعني الموت غرقًا في عرض البحر.

ويبدو أن حضور هذه الثيمة يضغط وترًا حساسًا عند الشاعر، لذلك نجد تكررًا لبعض الألفاظ كثيرًا مثل: (عصابة – الجلاد ... إلخ)، حتى ومع اختلاف السياقات والصور الشعرية المقامة فإن المعنى والدلالات الفرعية المقدمة واحدة في النهاية، من أن البلاد صارت تتمرغ في أحضان المفسدين، وعاث فيها اللصوص نهبًا وتخريبًا، وتقاسموا الأدوار والتزم كل فرد منهم بدوره المرسوم، ما بين سارق وناهب، أو مفسد ومدمر، أو حارس وجلاد يقهر كل الشعب، ويخرس كل صوت يجرؤ على الاعتراض:

كـــلُ الحكـايةِ أنـــها ضاقـــتْ بنا — واستسلـمتْ للـــصِّ والقـــوادِ

قدْ كانَ آخرُ ما لمحتُ على المدى — والنبضُ يخبو .. صورةَ الجلادِ

قـدْ كانَ يضحكُ والعصابةُ حـــولهُ — وعلى امتدادِ النهرِ يبكـــي الوادي

وصرختُ والكلماتُ تهربُ من فمـي — هـذي بـلادٌ .. لم تعـــد كبلادي

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص١٥ + ١٦)

إن عدم الانتماء وتلاشي روح الولاء واضح وجلي في هذا المشهد المؤسي، حيث تنتزعُ أرواح الشباب المهاجر غرقًا بين الموج المتلاطم، فالنبض يخبو والروح تغرغر، ومع ذلك تطاردهم صورة الجلاد، ويرون وجه وطن أسلم نفسه لمن يتاجرون بالعرض والشرف كالقوادين، الذين يعبثون بمقدرات الشعوب ويضحكون هازئين بمعاناة مواطنيهم، ويقابل ضحكهم وسخريتهم بكاء وادي النيل.

وتحاول ثيمة (الفساد) سبر الأعماق المتوارية خلف الحُجب، حين تنقل مرارًا ضيق الوطن ببنيه؛ فتوقفنا أمام السؤال المستمر: كيف يشعر شبابه نحوه بعاطفة انتماء أو حسّ ولاء؟ لقد كان آخر صرخة تخرج من أفواه الغرقى أن تبرأوا من هذه البلاد المسخ؛ التي لا تمت بأدنى شبهٍ أو صلة لوطنهم الذي يحبون، يتلاشى الانتماء إذاً كما تتلاشى الحياة، لتطلق الثيمة بهذه الصورة المستدعاة تحذيرًا قويًا لأي عاقل لا يزال في أرض الوطن، لتتضافر صيحاته الشعرية هنا مع كتاباته النثرية في كل المنابر لعل أحدًا يستجيب له.

ويمكننا كذلك أن نرى دلالات موحية ومتكررة تتشكل منها ثيمة (الفساد) في حكاية (عم فرج)، حيث تشظت الثيمة في أكثر من وصف لتلك العصابة المفسدة المخربة، فكما أن (عم فرج) من نبت هذه الأرض الطيبة وجسده معجون بكامل ترابها، وشرب وارتوى من نهرها الصاخب الفتي؛ فإن صورة العصابة في قصيدة (عم فرج) تتماهى مع صورة الحقول الخضراء، ليظهر أعداء هذا الوطن بمظهر مروع لا يبقي ولا يذر، فهم كالفئران المفسدة، والحيات التي تنهش وتميت، والعقارب التي تقتل، والعناكب التي تنسج في الخرائب:

وينظرُ في حقولِ القمحْ ..
والفئرانُ تسكرُ من دماءِ الكادحينْ
لمْ يبقَ في الحقلِ الجميلِ ..

سوى الثعابينَ العتيقةْ
تنفثُ السمّ الدفينْ
لمْ يبقَ غيرُ قطائعِ الغربانِ
تنعي الموتَ في الزمنِ اللعينْ
لم يبقَ فوقَ شواطئ النهرِ الحزينْ
سوى العناكبِ .. والطحالبِ .. والأنينْ
كم كانَ يبكي كلما
أكلتْ جيوشُ الملحِ قوتَ الجائعينْ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٢٠ + ٢)

تكثف دلالة الجمع في صيغ (الثعابين – الفئران – قطائع – الغربان – العناكب – الطحالب – الجائعين) من عمق الأفكار الفرعية البانية في عمومها لثيمة (الفساد)، عندما ترسم هذه الدلالات صورًا مروعة لعصابات – بأعداد كبيرة– احترفت نهب القوت وسرقته، وترك جموع الشعب جائعة فقيرة، تموت من المسغبة والعوز، صورت الثيمة هذه العصابات على هيئة قطعان تهيم فتمتص الأخضر واليابس، وتخرب كل جميل وتفسده، إنها كالطحالب التي تتطفل على عائلها وتتغذى على جسده حتى تتركه جثة هامدة، إنها كذلك كالعناكب التي لا تستوطن إلا الخراب، ولا يُرى منها إلا الموت ورائحة الضياع.

ويعيد حضور الثيمة بهذه الهيمنة ذات السؤال: هل هذا وطنٌ يشعر (عم فرج) وكل فرج نحوه بالانتماء؟ إنه وطن يُعدم كل ولاء في الصدور ولا يترك فرصة للتقارب مع أبنائه، بل يسعى جاهدًا لبناء حوائط منيعة بينه وبين الشعب، ولا يعني الوطن حينها إن كان بنوه ينتمون إليه أم لا، ليست بالقضية المهمة التي تشغل بال القادة والمسؤولين، إن ما يعنيهم هو ملء البطون والجيوب فقط.

سيكرر (عم فرج) ذات المعنى وتتكرر معه الثيمة وتسيطر، لأن هذه الصورة القاتمة لوطنه بفعل هؤلاء المفسدين لصيقة بعقله، لا تفارقه حتى في لحظات موته غرقًا، تطارده صورة الناهبين لقوته وقوت أولاده، الآخذين لخيرات أرضه التي رواها بدمائه وعرقه:

وطني سينساني ..
قدْ كانَ يذكرني ..
إذا لاحتْ وجوهُ المعتدينْ
قدْ كانَ يذكرني ..
إذا حلتْ مواسمُ زرعنا
فيجيئُ يسرقُها ..
ويتركنا حيارى جائعينْ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٢٥)

لقد استفاضت ثيمة (الفساد) في توضيح طبيعة العلاقة بين الوطن وبنيه، إن وطنًا لا يتذكر أبناءه إلا ساعة حاجته إليهم لهو وطن لا يعنيه انتماء أو ولاء، ينسى الوطن بنيه ولا يتذكرهم إلا حين الحصاد ليسرق جهدهم، أو حين اعتداء غاصب ليدافعوا عنه فقط، وما عدا ذلك فليسوا في بؤرة اهتمامه أو في قمة أولوياته، إن القائمين على شؤون الوطن منشغلون عن رعيتهم، لا يهتمون إلا بمصالحهم، أما الموطن فليرمي نفسه في لجةٍ تجتث روحه أو مركب يغرق معها.

والسؤال الخفي من وراء الطرح المستمر لهذه الثيمة يتجدد: كيف لانتماء أن يكبر أو يُوجد في وطنٍ كهذا الوطن؟ إن الأمر جدٌّ خطير إذ لم تترك عصابة الإفساد حبلاً – ولو واهيًا – يصل بين جموع الشعب ووطنهم، بل العكس من ذلك؛ حين تقوم بقطع كل سبل الوصال عن عمد.

ولتأصيل هذا السبب، تتلازم صورة هذه العصابات الناهبة مع ورود الثيمة في عموم الديوان، بحسبان هذه العصابات المفسدة السبب الرئيس في انهيار قيمة الانتماء في نفوس بني الوطن، ففي القصيدة الثالثة (هذا عتاب الحب .. للأحباب) نجد الشاعر يتعجب من الوطن الذي يحبه حدّ العشق، وينتمي إليه ويود لو يقبل الوطن عمره فداءً له، ومع ذلك يفضل هذا الوطن اللصوص عليه، وهو الشريف النقي الذي يسعى لمجد وطنه ورفعته:

كـمْ طافَ قلبي فـي رحابكَ خاشـعًا ... لـمْ تعرف النقى .. مـن النصـابِ
أسرفـتُ فـي حبـي .. وأنتِ بخيلــةٌ ... ضيعتِ عمرى .. واستبحتِ شبابي
منْ كانَ أولى بالوفـاءِ؟! .. عصابةٌ ... نهبتـكِ بالتـــدليسِ .. والإرهـابِ؟
أمْ قلـبُ طفـلٍ ذابَ فيـكِ صبـــابةً ... ورميتــهِ لحـمًا على الأبــــوابِ؟
باعوكِ في صخبِ المزادِ .. ولمْ أجدْ ... في صـدركِ لمهجورٍ غير عذابي
قـدْ روضوا النهـرَ المكابرَ فانحـــنى ... للغاصبيــنَ .. ولاذَّ بالأغــــرابِ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٤١ + ٤٢)

لا تنفك ثيمة (الفساد) في الأبيات السابقة عن تقديم الدافع العميق المفسر لضعف الانتماء عبر أفكار فرعية دالة، فتنقل إصرار الوطن على نزع قيمة الانتماء من الشاعر (ومن يمثله الشاعر من بني الوطن)، يقتل الوطن الولاء حين لا يفرق بين الشريف والفاسد، والنقي والخبيث؛ بل يرفع النصاب المخادع ويقدمه. وتتكرر ثانية كلمة (عصابة) وتُقرن بالإرهاب، ليتأكد المعنى في النفوس من أن تلك العصبة قد احترفت التدليس وإرهاب الشعب، لتخرس الأفواه وتكممها لكيلا تطالب الحرية، إنها ذات العصابة التي تبيع الوطن في المزادات، تقدمه على طبق من فضة لمن يدفع أكثر، وذات العصابة التي روضت النهر الذي كان ماؤه يصخب ويزمجر متدفقًا، فأذلوا النهر المكابر، وجعلوه ينحني أمام الغاصبين

الطامعين. كل هذه صور متشكلة ومتتالية ترسمها ثيمة (الفساد)؛ لتصل بالمتلقي إلى حالة الفهم الكامل لأسباب انعدام روح الانتماء تلاشيه في نفوس أبناء الوطن.

وسنرى في هذا قصيدة الأخيرة أيضًا ألفاظًا تستدعيها الثيمة، وتوظف دلالتها في إطار فلكها المحوري، وتقدمها كصفات لازمة لتلك العصابة المفسدة، فهم: (مُرابين – جلادين – كذابين – سفهاء – حاقدين – مخادعين – مقامرين – نصابين – آفاقين – طغاة)، وهي صفات تتحمل في مجملها دلالات متواترة، تشير إلى الخراب والموت، والزيف والخداع، والطغيان والقهر، والتدليس والمقامرة بالوطن، لتؤكد الثيمة في مراوحتها المستمرة بين الدلالات على أن الوطن لم يحل به إلا السوء من ورائهم. وستتكرر هذه الصفات كثيرًا وتمعن الثيمة في توظيفها، في تأكيد لا ينقطع على أنهم سببٌ حتمي في قطع حبل الانتماء عند شباب الوطن، بأفعالهم وسياساتهم الخربة:

تبنيـنَ للسفهـاءِ عـشًا هـــادئًا وأنا أموتُ على صقيعِ شـبابي
أهفـو إليكِ وفي عيـونكِ أحتمـي من سجنِ طاغيةٍ وقصفِ رقابِ
مـا بيـنَ جـلادٍ .. وذئبٍ حـــاقدٍ وعصـابةٍ نهبتْ بغيرِ حســـابِ
الجالسـون على العـروشِ توحشوا ولكـلِ طـاغيةٍ قطـــيعُ ذئـــابِ
قد مزقوا جسدي..وداسوا أعظمي ورأيتُ أشـــــلائي على الأبوابِ

(ماذا أصابك يا وطن؟ ص٤٥ + ٤٦)

ومن خلال الهيمنة الملحوظة لثيمة (الفساد) والثيمتين السابقتين يكتمل بناء لوحة ثلاثية الأسباب؛ أضحت – مجتمعة أو منفردة – قادرة على نزع أي بصيص انتماء في النفوس، وقُدمت هذه الأسباب عبر ثيمات ترتكز على بيان قبح وجه الواقع للوطن، وغياب كل جميل عنه، مع قتل أحلام بنيه وخنق طموحاتهم، وكل ذلك بفعل المفسدين الذين انطلقوا يخربون ويدمرون مقدرات هذا الوطن، ويحاربون الشرفاء وينكلون بهم.

استطاعت هذه الثيمات الثلاث التي شكلت مدارات البناء الموضوعي في الديوان؛ أن تفسر التحولات الخطيرة في قيمة الانتماء لدى الشعب المصري، وبخاصة فئة الشباب، وتأكيدًا على الرؤية المقدمة في الديوان أقامت الثيمات بصورها الشعرية، وسياقاتها المتضافرة دلائل قاطعة على أن ثمة تغير خطير يجتاح كيان الشعب ووجدانه، تمثل هذا التحول في تلاشي ركيزة مهمة من ركائز الوطن هي الانتماء، لذلك كانت هيمنة هذه الثيمات جرس إنذار وتنبيه.

خاتمـــة

أظهرت الدراسة مدى الحساسية الشعرية التي يمتلكها جويدة حين يتعلق الأمر بالوطن، ظهرت هذه الحساسية في عبقرية التشكيل عندما تناول قيمة الانتماء من خلال الثيمات المهيمنة، مرسخًا لها في إبداعاته وشعره، فاستطاع الشاعر أن يمزج بين العاطفة والفكر عبر سيطرة ثيمات بسط فيها رؤيته،

فأخرج صورًا شعرية أجاد رسمها، كانت أدواته فيها الألفاظ والتراكيب والسياقات، فنوّع فيها واستطاع بناء ثيمات رئيسة دالة، وبشكل يضمن إيصال كامل رسالته ورؤيته.

وقد انتهى البحث إلى عدة نتائج:

- كان الشاعر على إدراك تام لمفهوم الانتماء وعوامل تلاشيه من نفوس بني الوطن، وظهر هذا الوعي في تقصيه لأسباب ذلك في قصائد الديوان، وكذلك مقالاته الفكرية في الصحف السيارة، محاولاً إنقاذ هذه القيمة من الاختفاء من وجدان الشعب المصري.
- استطاع الشاعر تقديم أسباب التحولات التي اجتاحت الحسّ الانتمائي وحالة الولاء، وذلك من خلال بلورة رؤيته وقناعاته في ثيمات مهمينة على قصائد الديوان، رصد عبرها تغيُر حال الوطن، رابطًا بين ضياع قيمة الانتماء وتلاشيها والتغيُر الذي اعترى الوطن للأسوأ في جميع جوانب الحياة.
- تضافرت الثيمات المهيمنة في الديوان – باستدعاءاتها المختلفة – لإقامة صورٍ مُقنعة؛ وموضوعات جزئية دالة تُبين أسباب التحولات الطارئة على الحس الانتمائي لدى الشعب المصري، سواءٌ في ذلك دلالة الثيمات الرئيسية أو الأفكار الفرعية في عموم سياقات النص.
- تجلت ثيمة (الحيرة والحزن) بشكل مهيمن في العتبات النصية الداخلية والخارجية؛ لتتشكل صورٌ متعددة تعكس منسوب الانتماء في وجدان أبناء الوطن، وبسطت هذه الثيمة هيمنتها على عتبة الغلاف الأول والأخير، وعتبة الإهداء وعتبة العناوين، مع اقتران دلالة تلك الثيمة بدلالة إثبات العتبات المختلفة بخط يده المباشر.
- كان حضور ثيمة (المقارنة) قويًا في الديوان، حين أُقيمت في مواضع كثيرة مقارنة بين ماضي الوطن الزاهر ووجهه الواقعي / الحالي القبيح والمُزري، لتؤكد هيمنة هذه الثيمة أن اختفاء كل جميل من الوطن (بما فيها الذكريات) سببٌ مباشر؛ ورئيس في ذوبان حالة الانتماء لدى الشعب.
- فسّر حضور ثيمة (اليأس) وهيمنتها العلاقة بين اختفاء قيمة الانتماء والولاء وحالة انطفاء الحلم وقتل الطموح في نفوس شباب الوطن، لتقرر سيطرة هذه الثيمة أنه لا انتماء بلا آمال، ولا ارتباط بوطنٍ يطفئ شعلة الأمل في عيون الشباب بخاصة.
- أظهرت ثيمة (الفساد) واستقطاباتها المتعددة؛ حالة الخراب الممنهج على يدّ عصابةٍ تولت زمام الأمور في الوطن، فغابت العدالة وعانى الشرفاء، وكان نتاج هيمنة هذه الثيمة تقديم سبب ثالث منطقي وحتمي لتلاشي قيمة الانتماء والولاء.

فهارس البحث

١. علي أسعد وطفة: إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة، مجلة المستقبل العربي، مج ٢٥ – ٢٨٢ع، لبنان ٢٠٠٢، ص٩٦.

٢. حسن عبد الرازق منصور: الانتماء والاغتراب دراسة تحليلية، دار جرش للنشر والتوزيع، السعودية ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩، ص١٨.

٣. فاروق أحمد سليم: الانتماء في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٨م، ص٨.

٤. مسعود فكري، حسين إلياسي مفرد: ما بين الانتماء والرفض – دراسة في شعر ناصر قواسمي، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، المركز العربي الديموقراطي ببرلين، ٢٢ع، ألمانيا ٢٠٢٢م، ص١٢٣.

٥. علي أسعد وطفة: إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص٩٦.

* وُلد الشاعر فاروق جويدة في محافظة كفر الشيخ عام ١٩٤٥م، درس الصحافة في كلية الآداب وتخرج فيها عام ١٩٦٨م، وعمل في مجال الصحافة حيث بدأ محررًا في القسم الاقتصادي بجريدة الأهرام، ثم سكرتيرًا لتحرير الأهرام، ثم شغل بعد ذلك منصب رئيس القسم الثقافي بذات الجريدة.

يُعد جويدة شاعرًا له مكانته في الشعر العربي المعاصر، وتنوعت إسهاماته في الحقل الأدبي بشكل عام؛ وفي مجال الشعر على وجه الخصوص، وقد تُرجمت بعض أعماله من (قصائد – مسرحيات) إلى عدة لغات منها: (الإنجليزية – الفرنسية – الصينية – اليوغوسلافية)، وهو عضو بارز في نقابة الصحفيين، وجمعية المؤلفين، وكذلك اتحاد الكُتاب، ولجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة.

مثّل مصر في العديد من المحافل والمهرجانات الشعرية، سواءٌ الدولية أو العربية أو الأسيوية فمن ذلك: تمثيله لمصر عام ١٩٩٩م في اليوم العالمي للشعر بباريس، كما أنه عضوٌ مؤسس للأكاديمية العالمية للشعر، التي أنشأتها منظمة اليونيسكو عام ٢٠٠١م بمدينة فيرونا الإيطالية، وكان الشاعر ضمن أربعة وخمسين شاعرًا اختارتهم اليونيسكو على مستوى العالم.

كرمته الدولة، فحصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب لعام ٢٠٠١م، وجائزة كفافيس الدولية في الشعر لعام ٢٠٠٧م، وكذلك جائزة شاعر السلام العالمية لعام ٢٠١٦م.

من أعماله: دواوين شعرية: (أوراق من حديقة أكتوبر ١٩٧٤– حبيبتي لا ترحلي ١٩٧٥– ويبقى الحب ١٩٧٧– وللأشواق عودة ١٩٧٨– في عينيك عنواني ١٩٧٩– دائمًا أنت بقلبي ١٩٨١– لأني أحبك ١٩٨٢– شيء سيبقى بيننا ١٩٨٣– طاوعني قلبي على النسيان ١٩٨٦– لن أبيع العمر ١٩٨٩– زمان القهر علمني ١٩٩٠– كانت لنا أوطان ١٩٩١– آخر ليالي الحلم ١٩٩٣– ألف وجه للقمر ١٩٩٦– أعاتب فيك عمري ٢٠٠٠– قصائدي في رحاب القدس ٢٠٠٢).

. مسرحيات شعرية: (الوزير العاشق ١٩٨١– دماء على أستار الكعبة ١٩٩٣– الخديوي ١٩٩٤– هولاكو ٢٠١٦).

. فكر: (أموال مصر: كيف ضاعت – بلاد السحر والخيال – قالت – هوامش حرة – اغتصاب وطن – قضايا ساخنة – شباب في الزمن الخطأ – قضايا ساخنة جدًا).

انظر: الأعمال الكاملة للشاعر (المقدمة – غلاف الصفحة الأخيرة)، يُنظر كذلك: صفحة التعريف بالشاعر على موقع المجلس الأعلى للثقافة بمصر، ويُنظر أيضًا: معجم البابطين لشعراء العرب المعاصرين، مج ٧، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ط١، الكويت ١٩٩٥، ص ٣٩٥.

٦. فاروق جويدة: شيء في مصر كان يسمى الانتماء، مقال منشور في جريدة الشروق، الأحد ٢٠١١/٥/٢٢م.

٧. عبد الواحد علام: اتجاهات نقد الشعر في مصر ١٩٤٠ – ١٩٥٦، مكتبة النصر، القاهرة ١٩٩٢م، ص٢١٧.

٨ . جميل حمداوي: المقاربة النقدية الموضوعاتية، مؤسسة المثقف العربي، ط١، المغرب ٢٠١٥م، ص١٣.

٩. المرجع السابق، ص١١.

١٠. معن زيادة وآخرون: الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، جـ١، بيروت ١٩٨٦م، ص١٢٠.

١١. علي أسعد وطفة: إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص٩٧.

١٢. أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٢م، ص٣٩.

١٣. انظر: أمين معلوف: الهويات القاتلة – قراءات في الانتماء والعولمة، ت (نبيل محسن)، دار وارد، ط١، دمشق ١٩٩٩م، ص١٤.

١٤. محمد بن سعود البليهد: تجليات الهوية في شعر فاروق جويدة، مجلة كلية الآداب، ٥٢ع، جامعة المنصورة ٢٠١٣م، ص١١٧.

١٥. سامي سويدان: في النص الشعري مقاربات منهجية، دار الآداب، ط١، بيروت ١٩٨٩م، ص٢٤.

١٦. جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، مؤسسة المثقف العربي، المغرب ٢٠١١م، ص٣٥٧.

١٧ . سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، منشورات شركة بابل للنشر والطباعة، الرباط – المغرب ١٩٨٩م، ص٧.

١٨ . حميد لحمداني: سحر الموضوع – عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، مطبعة أنفو – برانت، ط٢، فاس ٢٠١٤م، ص٥٢.

١٩ . سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، مرجع سابق، ص١٢ – ١٣.

٢٠. محمد عزام: المنهج الموضوعي في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٩م، ص١٦٥.

٢١ . محمد عزام: النقد الموضوعاتي، مجلة الموقف الأدبي، ٣٥٦ع، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٠م، ص١٣٦.

٢٢- دانييل برجيز: النقد الموضوعاتي – مقال ضمن كتاب (مدخل إلى مناهج النقد الأدبي)، ت (رضوان ظاظا) – مراجعة (المنصف الشنوفي)، عالم المعرفة، ٢٢١ع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو ١٩٩٧م، ص١١٧.

٢٣ . انظر: – دانييل برجيز: النقد الموضوعاتي – مقال ضمن كتاب (مدخل إلى مناهج النقد الأدبي)، مرجع سابق.

٢٤. سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ٢٠٠١م، ص٩٧.

٢٥. عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص البنية والدلالة، منشورات الرابطة، ط١، الدار البيضاء ١٩٩٦م، ص٦٧.

٢٦. يوسف الإدريسي: عتبات النص (بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر)، مقاربات، ط١، المغرب ٢٠٠٨م، ص١٥.

٢٧جوليا كرستيفا: عالم النص، ت (فريد الزاهي)، دار توبقال للنشر، ط٢، الدار البيضاء ١٩٩٧م، ص٨٠.

٢٨. أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ت (سعيد بنكراد)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت ٢٠٠٠م، ص٣٣.

٢٩. فاروق جويدة: شيء في مصر كان يسمى الانتماء، مقال سابق.

٣٠. فاروق جويدة: شباب مصر بين الهجرة والانتماء، مقال منشور في جريدة الأهرام اليومي، ٤٩٧٨١ع، الجمعة ٢٠٢٣/٣/٢٤م.

المصادر والمراجع

أ. المصادر

- فاروق جويدة: الأعمال الكاملة، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٧م.
- ـــــــــــــ: ديوان (ماذا أصابك يا وطن؟)، دار الشروق، القاهرة ٢٠١٠م.
- ـــــــــــــ: ديوان (وللأشواق عودة)، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٧م.

ب. المراجع

- إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة ٢٠٠٠م.
- إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٣م.

- أحمد أبو حاقة: الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت ١٩٧٩م.
- أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٢م.
- أدونيس (علي أحمد سعيد): الثابت والمتحول "بحث في الاتباع والابتداع عند العرب"، دار العودة، ط١، بيروت ١٩٨٧م.
- إسماعيل عز الدين: الشعر العربي المعاصر – قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، بيروت ٢٠٠٧م.
- اعتدال عثمان: إضاءة النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م.
- أمين معلوف: الهويات القاتلة – قراءات في الانتماء والعولمة، ت (نبيل محسن)، دار وارد، ط١، دمشق ١٩٩٩م.
- إنريك أندرسون إمبرت: مناهج النقد الأدبي، ت (الطاهر أحمد مكي)، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة ١٩٩١م.
- بسام قطوس: سيمياء العنوان، مكتبة الكنانة، ط١، إربد، عمان ٢٠٠١م.
- جان كوهن: بنية اللغة الشعرية، ت (محمد الولي – محمد العمري)، دار توبقال، الدار البيضاء ١٩٨٦م.
- جميل حمداوي: المقاربة النقدية الموضوعاتية، مؤسسة المثقف العربي، ط١، المغرب ٢٠١٥م.
- جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، مؤسسة المثقف العربي، المغرب ٢٠١١م.
- حسين جمعة: ظاهرة الانتماء (مقال)، مجلة التراث العربي، ٤٤ع، دمشق يوليو ١٩٩١م.
- حميد لحمداني: سحر الموضوع – عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، مطبعة أنفو – برانت، ط٢، فاس ٢٠١٤م.
- درويش الجندي: الرمزية في الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٢م.
- سامي سويدان: في النص الشعري مقاربات منهجية، دار الآداب، ط١، بيروت ١٩٨٩م.
- سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، منشورات شركة بابل للنشر والطباعة، الرباط – المغرب ١٩٨٩م.
- سمير سعيد حجازي: إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر، دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، القاهرة ٢٠٠٥م.
- صبري حافظ: استشراف الشعر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م.
- صلاح فضل: أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٨م.
- طارق البشري: مفهوم الانتماء ودوائره المتحاضنة – من كتاب (دوائر الانتماء وتأصيل الهوية)، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة ٢٠١٣م.

- طه وادي: جماليات القصيدة المعاصرة، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة ٢٠٠٠م.
- عبدالله بن ناجي آل مبارك: قراءة في مفهوم الانتماء الوطني، صحيفة الرياض – مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
- غاستون باشلار: فلسفة الرفض، ت (خليل أحمد خليل)، دار الحداثة، ط١، بيروت ١٩٨٥م.
- فاروق أحمد سليم: الانتماء في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٨م.
- محمد زكي العشماوي: الأدب وقيم الحياة المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٠م.
- محمد صابر عبيد: التشكيل والرؤيا، دار فضاءات، عمان ٢٠١٦م.
- ـــــــــ: تأويل النص الشعري، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد – الأردن ٢٠٠١م.
- محمد عزام: المنهج الموضوعي في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٩٩م.
- ـــــــــ: النقد الموضوعاتي، مجلة الموقف الأدبي، ٣٥٦ع، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٠م.
- مدخل إلى مناهج النقد الأدبي: مجموعة كتاب، ت (رضوان ظاظا) – مراجعة (المنصف الشنوفي)، عالم المعرفة، ٢٢١ع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو ١٩٩٧م.
- نادية مصطفى وآخرون: دوائر الانتماء وتأصيل الهوية، دار البشير، القاهرة ٢٠١٣م.
- نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمة للنشر – لونجمان، ط١، القاهرة ٢٠٠٣م.
- يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي (مفاهيمها وأسسها – تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية)، جسور للنشر والتوزيع، ط١، الجزائر ٢٠٠٧م.